قصة : المؤنسات الغاليات

حين تقال كلمة حب نجد أول مايتبادر لأذهاننا رجل وامرأة وخطبة وزواج ! ثمة خطأ كبير في ذلك فالحب لم يكن يوما بين المرأة والرجل فقط فقد يكون حب الأهل الصداقة الأخوة بل والعلم أيضا .فبدون الحب لن نستطيع إكمال الحياة أبدا فهو من يبعث في النفس دفعة تمكننا من الاستمرار لأجل حب يقطن بالقلب على إختلاف أنواعه .

أنا آلاء أعمل معيدة بقسم المحاسبة بكلية التجارة بعد مرحلة من الجد لأصل لتلك المكانة ، حياتي مابين الجامعة حيث عملي وكياني وأمي تلك المرأة الطيبة التي ربتني وحدها في غياب أبي لسفره خارج الوطن بينما يأتي لزيارتنا كل عام كضيف يرحل سريعا ،وصديقاتي اللاتي يعملن معي بنفس التخصص فقد كنا دافع لبعضنا البعض لا أستطيع تخيل حياتي دونهم فرغم لقائنا بشكل يومي إلا أننا نقتطف متنفسا لنا بعيدا عن الجامعة والعمل فنحن نلتقي أسبوعيا بمطعمنا المفضل لتناول الأحاديث أولا ومن ثم الطعام ، لكن هذه الأيام باتت جلستنا كئيبة ينقصها الكثير بعد غياب تهاني التي انقطعت منذ فترة ليست بقليلة أو بمعنى أدق منعها ثائر (زوجها) لذا دائما جلستنا تظل ناقصة كئيبة بغيابها فقد كانت تلك المرحة الضاحكة العفوية بشكل دائم حتى اختطفها ثائر لعشه الزوجي واستحوذ عليها لنفسه ، أما عن سعاد فرغم انضمامها المعتاد للجلسة إلى أن عقلها ليس معنا بسبب مرض والدها وقلقها عليه فهو مصاب بسرطان الدم ذاك المرض الذي ينهش به في كل ليلة فيخفي أعراض المرض خوفا على مشاعر سعاد التي لم ترى أمها أبدا فهو ونيسها الوحيد يتمالك جدا لأجلها لكنها تشعر قلبها ينفجر باكيا في كل لحظة عقلها يفكر باستمرار ماذا لو غاب هو الآخر عنها كيف تكون حياتها كيف ستمضي كيف ستكمل ؟ لا يكف عقلها عن التساؤلات أن يحدث له مكروه ، جميلة إسم على مسمى كما يقال بعذوبتها وملامحها الهادئة وابتسامتها الرقيقة وأسلوبها اللطيف ولا سيما عشقها لخطيبها سامي الذي يبادلها هو الآخر نفس الشعور لهما في الحب قصة عميقة لكن يبدو أن ثمة حزن يتردد عليها هذه الفترة لكنها تفضل دائما ألا تتحدث ،.. علياء جادة جدا تحاول دائما أن تواري ذاك الجزء المحطم في صدرها بسبب ذاك الحثالة الذي حطم قلبها في يوم من الأيام فكرست حياتها للعلم والوصول لأعلى مراتبه حتى أن تعاملها يتسم بالجفاف لكن شخصيتها الرائعة وأرائها العقلانية تجعل منها شخصيةرزينة تأخذ منها القرار الصائب ، ورغم أني راضية كل الرضا عن حياتي لكن مايحزن قلبي حقا أني في كل مرة ازور صديقتي تهاني وقد أكل الحزن كل ملامحها وقد نحل جسدها وعينيها التي انطفأت لمعتها احزن كثيرا لأجلها ..كم كانت جميلة تملؤها البهجة والحيوية قبل زواجها من ثائر هو شديد العصبية

والأنانية أيضا دائما مايقسو عليها لعل له حظ وافر من اسمه ... هو فظ في التعامل معها غليظ في ألفاظه لكنه للأسف كمعظم الرجال مع نهاية كل ليلة يتلاعب ببعض الكلمات اللطيفة فتسامحه خشية من أذاه ان ماطلت معه ... رغم أنها تعلم كل العلم انه في كل ليلة يخونها مع إحداهن لكن ذاك الصغير بين كفيها هو من يصبرها ويجعلها تدعو له في كل يوم عسى الله بهاديه .. قلبها في كل مرة يعتصر الما سنها الصغير بات وكأنما هي في الخمسين من عمرها ..لم يكن ثائر يوما هكذا ولم نكتشف شخصيته الا بعد الزواج فبالعشرة والمعايشة نعلم حقيقة الأشخاص فكما يقال :

-هل تعرف فلان

=نعم

-هل عاشرته

=لا

-اذا لا تعرفه .

كان حين خطبها يدللها دائما ويبدو العاشق الطيب ذو التصرفات التي تروق للفتيات فيقعن في شباكه أسرى .. وحين وقعت في حبه عجل بالزواج منها ووافقت هي لتخيلها الحياه الوردية التي كان قد رسمها لها ومنذ الأسبوع الأول لهما ظهر على حقيقته وتبين معدنه الرديء ..هي تتعايش الآن لأجل طفلها حتى لا تحرمه أبا تظن أنه نافعه كما تتصور الكثير من النساء ويكملن مع أناس بلا قلب لمجرد المحافظة على أب لأبنائهم ،لكن ماعساه يشعر بأبوة غير موجودة فثائر لا ينظر إليه ولا يلعب معه هو دائما خارج المنزل او بداخل تلك الغرفة التي يدخل بها ليغلق الباب عليه ليحادث إحداهن ... بدا الطفل يكرهه من معاملته لأمه بدا يكره وجوده لكن انا اريد وانت تريد والله يفعل مايريد ...

بعدما انتهيت من دوامي ذهبت لتهاني التي ماعادت أيا من صديقاتنا تزورها لجلستها الحزينة وخوفها المترقب أن يأتي زوجها فجأة ويضايقهن بنظراته الحقيرة ..

حين فتحت لي الباب كادت تتطاير سعادة فبابها لم يعد يدق إلا بي ،بعدما ضايفتني تهاني بأن قدمت لي الشاي ولعبت قليلا مع صغيرها الجميل وحاولت ألا أظهر لها ملاحظتي لعلامات الضرب بجسدها التي بدت واضحة جدا لكن لم اتحدث حتى لا أضايقها وأزيدها وجعا على وجع ...

=تهاني ألن تأتي معنا المطعم غدا ..علياء وجميلة سيأتيان سعاد ربما لن تستطع

-لن يوافق يا آلاء (قالتها وهي تنظر إلى صورته في حزن يخالطه الخوف)

=انا سأتحدث إليه وأحاول إقناعه

-لا لا ارجوكِ لا تفعلي .. هو لا يريدك في حياتي

=ماذا ... لم أفهم قصدك

-طلب مني ألا استقبلك مرة ثانية وإلا فسيحمل مفتاح المنزل معه ويمنعني من زيارة أهلي

=لمّ كل هذا ... ولمّ انا بالذات

-هو لا يريد ان ألتقي صديقاتي أبدا ..
=اممم فهمت ... يريد منعك حتى لا تضطري ان تبوحي لأي منا بما يحدث
-.....(أطرقت رأسها في حزن لعين)
=تهاني ... ستندمين
-كفاكِ آلاء ارجوكِ
=حسنا تهاني ... سأذهب أتمنى أن اركِ المرة القادمة وقد تخلصتي من هذا العناء ..

حاولت أن تستوقفني بعدم الذهاب والجلوس معها لوقت أطول لكن سلبيتها تقتلني استسلامها بهذا الشكل يغضبني لذا ذهبت انا وتركتها وأنا لا أعلم هل سألتقيها مرة أخرى أم سيكون هذا هو اللقاء الأخير !؟... أطلقت العنان لدموعي لتبث عن حزني المكلوم لأجل تهاني حقا لا أتحمل ان أراها هكذا وددت لو ذهبت الى ثائرا وابرحته ضربا على أذيته لها وددت لو ذهبت إلى والدة تهاني لأصرخ الكثير وأطلب منها إنقاذ ابنتها لكن للأسف توفيت والدتها من حزنها الدائم لحال ابنتها ولا تملك بيدها أي حيلة لانقاذ ابنتها .. اما عن ابيها فيكفيه ان يقوم بإشعال التبغ ويدخنه ومن ثم يذهب لزوجته الجديدة دون أن يكلف نفسه السؤال عن ابنته التي استضعفها زوجها لفراغها من الأهل والسند ... تهاني نفسها لا تفعل شيئا فكلما فعل بها مالا يفعله بشر من أذية النفس والبدن فهي لا تملك الا ان تسامحه لأنها تظن أنها وحدها لا منجي لها منه ... فكرت أن أذهب لوالدها في محاولة مني لانقاذها من سجنها فكأنما تم الحكم عليها مؤبدا بعدما تم اعدامها من حياتها.
لكن تأخرت كثيرا ولن توافق أمي لذا سأحاول فعل ذلك في الغد ، أود مساعدتها بأي طريقة فأنا أعلم أن نهايتها
مع ثائر بهذا الشكل لن تكون إلا بتعيسة وربما أدت لأسوأ من هذا ، كان الطريق للمنزل طويلا رغم قصره لم يتوقف عقلي للحظة واحدة عن التفكير بتهاني .
الإختيارات أحيانا تكلفنا الكثير والكثير من التعاسة بحياتنا لكن نمضي دائما متحملين نتيجة اختياراتنا على أمل حدوث معجزة تنتشل التعاسة من حياتنا .
كانت امي بانتظاري كعادتها فأنا الابنة المدللة والصديقة الصغيرة الأقرب لقلبها ...
=آلاء ... مابك حبيبتي قد تأخرتي
-ذهبت لتهاني ...
=واضح جدا على ملامحك
-فماذا ستقولين ان رأيتي ملامحها
=كان الله بالعون ... قومي بتبديل ملابسك حتى نتناول غداءنا

بالفعل قمت بذلك لم تقصد أمي فقط تبديل ملابسي فحسب بل المقصود هو تبديل الحال أي أن أقوم بخلع الملابس والهموم التي قدمت بها من الخارج وأرتدي ملابس المنزل حيث الراحة وهدوء النفس.

كان اليوم يمر بشكل اعتيادي فنحتسي الشاي بعد غداءنا ومن ثم نشاهد التلفاز مع بعض المسليات ويتصل والدي في المساء ليسرد لنا تفاصيل يومه ومن ثم أذهب لغرفتي لأحضر بعض الدروس التي أقوم بتدريسها للطلبة وينتهي اليوم ، حياتي إلى الآن لم تتخلها مفاجأة تغير من روتيني لم يسبق أن دخلت بعلاقة حب فأنا أرفض ذلك الا في إطار الشرع ومعرفة الأهل وأكره أيضا تعارف الصالونات ! لذا لا ادري كيف سألتقي بنصفي الآخر لكني على يقين أن النصيب يصيب فحين يأتي ننسى كل الشروط والمعايير بل وجميع الإطارات .
لم يكن في اليوم التالي تغيرا كثيرا عن الذي يسبقه عدا ماتمر به سعاد من معاناة مع والدها ، رأيتها تجلس على مكتبها لم تتفوه بكلمة ولم تشاركنا الحديث كعادتها فما كان مني إلا محاولة الحديث لفك كربها الذي أعرفه وتحاول هي مواراته.....
-سعاد
=....(لم تنتبه لي لشرودها)
-سعاد ... (وقد قمت بتنبيهها بالربت على كتفها)
=...(انتبهت وقد انتفضت)... آلاء ... ماذا حدث ... هل اقترب موعد محاضرتي
-أهدئي حبيبتي ... لا شيء ... لكن أنتِ مابك ... كيف حال والدك
=...(لم تتماسك نفسها حتى بكت بشدة)... لا يبدو حاله بخير أبدا ... أخاف أن يتركني قريبا .. ليس لي سواه يا آلاء ليس لي سواه
-...(قمت باحتضانها وتهدئتها)

للأسف أحيانا حتى الكلمات لا تنقذنا في المواقف الإنسانية من هذا النوع فينعقد اللسان ويأبى التحدث ، كما أنها أظنها لا تحتاج سوى لحضن يهدئها فقط هي تريد أن تبث حزنها لا أن تسمع كلمات الشفقة ، وانا أفهم هذا لذا قدمت لها ماتحتاجه .
انتهى اليوم ولم أكن لأنسى تهاني ولا حزمي على الذهاب لوالدها ،وبما أن منزله في طريقي ذهبت حينها ا لأسرد إليه ماحدث ويحدث مع ابنته عله يحاول إنقاذها فقد لا يتمكن من رؤيتها لمرة أخرى لكن أصابني الذهول من ردة فعله الباردة جدا ، كان يجلس غير مكترث لحديثي أبدا ومن ثم نظر لي بحدة ....
=ماذا سأفعل لها ... هو زوجها وهي ملكه وله ان يفعل بها ما يشاء
-لكنه يستضعفها لعدم سؤالك عنها ... وسيمنعها من زيارتك قريبا
=وما المشكلة ...
-!!! هل تستطيع ان تعيش هكذا دونها ... تتحمل غيابها !؟
=نعم ... فقد خرجت من منزلي لمنزل زوجها ... وله كامل الحق فيما يفعله
-انه يضربها !
=يعلمها ويجعلها أفضل حتى لا تزعجه ... جميع النساء هكذا
-يالله ... لمّ لا تحميها عمي سالم وتأخذها معززة مكرمة ببيتك
=ومن أين أطعمها ... معاشي الشهري يكفيني انا وزوجتي فقط ...
-يا عمي أرجو.....
=من الأفضل لكِ ألا تتدخلي فيما لا يعنيكِ

-!

حقا صدمني كثيرا بحديثه وكأنما يتحدث عن لقيطة وليس عن ابنته المسكينة ... كانت والدتها دائما تنصحها بتركه فلم ترتح له أبدا منذ رأته كانت تقول انه كالأفعى ذات سم دفين .. رحمك الله وطيب ثراكِ أم تهاني لم تخطئ نظرتك بهذا الوغد الأحمق ... عدت لمنزلي وقلبي لا زال يحمل بقايا حزن وحطام لأجل تهاني وقد لاحظت والدتي مزاجي المتغير ولاشهيتي الغير معتادة ..
=آلاء...هل أنتي على مايرام
-بالطبع
=هه...وهل لا أعرفك .. ها هو ورق العنب الذي تعشقينه فتلتهميه في كل مرة إلتهاما ...أراكِ غير مقبلة عليه
-...(نظرت الى أمي ويبدو الحزن في عيني)... تشغلني تهاني كثيرا
=ألا زالت بنفس المأساة
-نعم...حتى أني ذهبت اليوم لوالدها فلم يعرني أي اهتمام بشأنها
=اممم.. رغم أنه لم يكن من الأدب أن تذهبي دون علمي إلا أن الأمر محزن حقا ...أعانها الله وهداه لها ..لكن حبيبتي لطوال يومك وأنتِ متعبة بالعمل فلتكملي وجبتك وتخففي عن صدرك بعض الحزن
-حسنا .

لم تكن ليلتي جيدة ولم يكن نومي هادئا لحزني على تهاني لكن لم يكن بوسعي سوى الدعاء لها لعل الله ينجيها منه أو يهديه لها .

في موعدنا المعتاد أنا وصديقاتي في المطعم كان محور حديثنا عن تهاني وعن كل ماحدث ...
-لا بد ان نساعدها
=بالطبع ولكن كيف
=*لمّ لا نذهب لأهل ثائر ونطلب منهم التحدث إليه
-فكرة جيدة ولكن كيف سنحصل على مكانهم او أرقامهم
=لا بأس سأطلب من والدي ان يأتي بهم .. فقط سيحتاج اسمه بالكامل تعلمن فوالدي يعمل في السجل المدني
-ثائر احمد النعماني
=حسنا .. سنحصل على العنوان قريبا بالتأكيد ولكن ما ستكون ردة الفعل
=*بالتأكيد سيرأفون لحالها ...
-أتمنى ذلك حقا
=* ماذا بكِ جميلة
=لا شيء ...
-لا من الواضح جدا ان هنالك امر ما ..

=طلبت أمي الطلاق من أبي
-لمّ
=.... (انفجرت بالبكاء)
-ماذا هناك جميلة ... يالله لا تبكِ ارجوكِ ..لماذا تبكين!؟
=أمي تحب رجلا آخر سوى أبي
=*ياالهي ماهذا
=.. والمصيبة أنه والد حامد خطيبي
=*ماذا !؟
=تريد ان تتزوجه
-لا تبكِ جميلة ربما مجرد نزوة بالتأكيد لن يحدث شيء
=كيف لن يحدث شيء ..تعلمن جيدا أن حماتي تكرهني فماذا ان حدث هذا بالتأكيد سأخسر حامد الى الأبد
-لا ..فعلاقتكما قوية وأقوى من أن تحطم هكذا بسهولة ..
=*آلاء على حق .. فقد حارب حامد كثيرا لتجتمعا .. لطوال سبع سنوات وهو يواجه بالرفض من قبل أهلك أحين تجتمعا سيتركك لمجرد أمر عابر؟!
=اتمنى ان يكون عابرا وتعود أمي لرشدها وتكف عن أنانيتها المستمرة
-لا تقلقي عزيزتي سيبدو الأمر على مايرام ..فلنتناول الطعام قبل ان يبرد ...
حاولنا تهدئتها بتغيير الموضوع والمزاح والتحدث عن تهاني وعن خطيب جميلة الذي يتوله بها ولهاً وتحدثت علياء عن اقتراب رسالة الدكتوراه التي قاربت على الانتهاء منها وستكون المناقشة بعد شهرين وتأمل ان تحصل على تقدير عالي للسفر خارجا وأكملنا جلستنا ولدينا دافع كبير من الأمل لنجدة تهاني وطفلها فهو ضحية جديدة مجهول مستقبله ... أثناء عودتي للمنزل للمنزل هاتفتني أمي بمنتهى الغضب ..
=أين أنتي آلاء تأخرتي كثيرا
-مالأمر أمي لازالت السابعة مساء
=لدينا ضيوف يآلاء ولديك علم بذلك
-هم ضيوفك أمي .. صديقتك وإبنها ... ما دخلي أنا بالموضوع
=آلاء لا تتأخري نحن بانتظارك

دائما ماتورطني أمي في مواعيد غريبة بهدف ارتباطي ..حين وصلت كانت أستاذة فاطمة وإبنها الدكتور هيثم في انتظاري .. كانت المرة الأولى التي أراه بها لا شك انه شاب طموح ذو أخلاق عالية ومهنة راقية لا شك ان شكله لا بأس به فهو اسمر ذو شعر مجعد قامته غير طويلة أي أنه بشكل مجمل غير وسيم وأن والدته تحبني كثيرا ودائما ماتسأل عني وتتمنى لي الخير وأيضا تتمناني زوجة لإبنها ...
-السلام عليكم
=عليكم السلام ...أهلا بجميلتنا آلاء ... كلما غبت وأتيت لرؤيتك تزدادين جمالا
-شكرا لكِ هذا من ذوقك العالي

=•هذا دكتور هيثم إبن الأستاذة فاطمة
-اهلا بك دكتور تشرفت بمعرفتك
=*الشرف لي آنسة آلاء
=•أتعلمين فاطمة قد غيرت نظام المطبخ هيا تعالي لتبدي ذوقك به ..
=بالتأكيد عزيزتي

كان الأمر واضحا جدا ارادت أمي أن تورطني كعادتها وتتركني مع دكتور هيثم للتعرف ... كزواج الصالونات المعروف والتي تؤمن به أمي كثيرا على عكسي تماما..
=كيف حالك آنسة آلاء
-بخير الحمد لله
=أخبرتني والدتك أنك معيدة بكلية التجارة
-نعم .. (كنت مرتبكة لا أعلم ماذا يجب ان أقول او ارد)
=لمّ لا تعملين بشركة أو بنك ... اعتقد سيكون أفضل من الجامعة
-بالطبع سيكون أفضل من الناحية المادية والإجتماعية ولكن طموحي كان بالطب لكن عندما قل مجموعي في الثانوية العامة ودخلت كلية التجارة كان طموحي لا زال أمامي فإن لم استطع أن اعمل كدكتورة بالطب سأكون دكتورة بالجامعة
=جميل جدا ... تفكيرك رائع وطموحك عالي .. أتمنى ان تصلي لما تريدينه حقا
-شكرا لك ..
=انا أعمل طبيب أسنان لدي عيادة خاصة ... وقد جهزت شقتي الزوجية ...
-اممم... بالتوفيق
=آنسة آلاء مارأيك بي كشاب ..
-انت إنسان محترم وبالطبع تتمناك الكثير من الفتيات
=وانت !؟
-انا ماذا!؟
=أقصد مارأيك بالزواج عموما وكيف تتمنين شريك العمر
-اتمناه شابا طموحاً يتقي الله في ويشجعني ويدفعني للأمام وألا يحاول أذيتي أبدا
=اممم (نظر لي نظرة إعجاب طويلة)

دخلت والدتي ووالدته واستكملنا الحديث عموما عن الحياة والأهل والعمل كان طوال الجلسة يختلس إلي النظرات من برهة لبرهة وقد لاحظت أمي ذلك وبدت علامات الرضا على وجهها فهي تتمناه لي زوجا ثم قاما بالذهاب ولم يقولا وداعا بل إلى اللقاء ويبدو أنه لن يكون اللقاء الأخير لي معه ...
=آلاء كيف كان حديثك معه
-رغم شدة ضيقي من تصرفك على توريطي معه الى أنه بدا لطيفا مهذب
=ماذا لو تقدم لخطبتك
-أمي انتِ تعلمين جيدا أني لا أريد الزواج بهذه الطريقة

=هل يجب ان تلتقي برجل وتتحدثان الكثير ومن ثم يتقدم ... يابنتي نحن عرب لسنا من بني الغرب ..من الحلال ان يتقدم أولا ثم تحدث المحبة والود ..سيكون حلالاً
-وجهة نظر غريبة أمي ... لكن لا اريد ان افرط بقلبي
=ومن قال تفريط عزيزتي هو شاب محترم ابن عائلة كريمة
-سأفكر في الأمر أمي
تركت أمي وذهبت لغرفتي وانا أسرد التفاصيل التي لا زالت عالقة بذهني ولاسيما تهاني وماذا ستكون نهاية قصتها نظرة الدمار بعينها وأبيها الذي تجرد من الإنسانية ونظرة اللامبالاة بعينه وعن بكاء جميلة وفعلة أمها الشنيعة كيف بعد هذا العمر الطويل تقع في حب رجل آخر والأشنع أنه والد خطيب ابنتها بالتأكيد ستحدث الكثير من المشكلات من حماتها وربما يؤدي الأمر لفراقها هي وحامد لا أرى خيرا آتيا أبدا لكن نحاول أن نطمئنها لعل خيرا ما يحدث .. تعجبني علياء فهي لا تفكر سوى بمستقبلها بعد خيبتها العظيمة مع وائل حيث أوهمها بالحب لسبع سنوات ومن ثم خطبت له أمه ابنة خالته ولم يقاوم هو الآخر أو يدافع عن حبهما ... لذا فقد قررت ان تبني مستقبلا شامخا من العلم يكون ذخرا وفخرا لها ... أما عن هيثم فلا شك أن اختلاسه المتكرر لنظرات اعجابه المهذبة كانت لطيفة جدا بالنسبة إلي وفرحة أمي به تسعدني ربما يكون الشخص المناسب لا ادري... لكن أثق تماما ان هنالك نهاية رائعة لكلا منا ..في الصباح اتصلت والدة هيثم وهي تصر أن تأتي لزيارتنا في المساء لتحديد ميعاد لقراءة الفاتحة ..حين أخبرتني أمي صعقت لما قالت بدا الأمر سريعا جدا فبالأمس التقيته كيف اليوم او بعد عدة أيام قليلة سيكون قراءة الفاتحة !؟
-هذا لن يحدث ... لم أعرفه بعد كيف يجلس معي بالأمس ويقرر خطبتي في الليل ..
=هكذا تؤخذ الأمور ..جميعنا تزوجنا بتلك الطريقة
-أبي لن يسمح بذلك .. لمّ تتصرفين وكأنه غير موجود بسبب سفره
=هو موافق وكان يعلم بزيارتهم في الأمس وأخبرته لتوي عن مكالمة والدة هيثم
-..... حسنا أمي ماترينه بمصلحتي قومي به ..(قلتها بنفاذ صبر لأني أعلم أني لن أنتهي من حديثها وأنه تم توريطي بالفعل)
=صدقيني هذا هو الصواب
-لكن الأمر سريع جدا لست مستعدة أبدا
=لا تقلقي سيبدو كل شيء على مايرام

لا أدري لمّ تتصرف أمي بهذه الطريقة لكن أريد إرضائها ربما كانت على حق... ذهبت الى الجامعة حيث عملي لكن بدت غرفة المعيدات غريبة اليوم ...
-ماذا يحدث جميلة
= والد سعاد قد توفي ونحاول تنظيم حافلة لنذهب جميعا لتعزيتها
-مسكينة سعاد ... عاصرت معه المرض لشهور طويلة لكن السرطان كان أقوى
=لعل ذلك أفضل له .. كان يتعذب كثيرا وسعاد أيضا كانت تموت في كل يوم تراه يتألم ..

يالله كان أمل سعاد الوحيد بحياتها ان يكون والدها بخير فهو من رباها وترمل عليها ولم يتزوج بعد وفاة والدتها منذ كانت سعاد في السادسة من عمرها لكن اختطفته الموت من حضنها لتبقى وحيدة بلا سند يدفع عنها بلاء الحياة كان هو كل ماتملك والآن فقدت ملكها الوحيد ...بعد دوامنا ذهبنا جميعا لتعزية سعاد التي كانت منهارة تماما وهي لا تجد حضنا تفرغ فيه حزنها قمنا بالإلتفاف حولها وتهدئتها لكن بالطبع دون فائدة حتى غابت عن وعيها من شدة البكاء والعويل... قامت خالاتها وعماتها بمداوتها ومن ثم رحلت كلا منا إلى منزلها في غاية الحزن ... كانت جميلة تجلس بجواري في الحافلة ولم تشاركنا أي حديث تم التحدث عنه من قبل زميلاتنا سواء مايخص سعاد او مايخص جدول المعيدات ...

-جميلة ...ماذا بك

=ها...هل تتحدثين إلي

-نعم... بمّ شرد ذهنك

=لا شيء...لا تكترثي لأمري

-هل حدث مكروه ما

=لا .. لكن حامد بدأت معاملته تتغير معي بسبب أمي وعلاقتها بأبيه ...باتت الأمور معقدة جدا ووالدته كرهتني وترفضني تماما.. كما أنها مستاءة جدا من حامد فهي تحمله السبب كاملا

-وما دخله بالموضوع!؟

=لانه هو الذي أتى بي إليهم ..وبالتالي علاقة أمي بأبيه

-لا تبكِ جميلة ... صدقيني ستحل الأمور

=كيف ذلك !

-لا تقلقي ... أنتِ تستحقين الخير ولن يحزن الله قلبك أبدا

كان هاتفي منذ خرجت من الجامعة إلى الآن على وضع الصامت وقد نسيت تماما أن هيثم ووالدته في زيارتنا واتصلت أمي كثيرا لتنبهني يبدو أن ارتباكي وقلقي بسبب سعاد والتجمع بالقرب من الحافلة جعلني أنسى إخبار أمي التي ساورها القلق كثيرا بشأن غيابي ... حين وصولي للمنزل كانت أمي في قمة غضبها ..

-السلام عليكم

=عليكم السلام ...(ردت أمي وقد قامت من مكانها المعتاد بالصالون ترتدي ثياب استقبال)

-ماذا هناك ... لمّ ترتدين هذه الثياب

=كان لدي ضيوف وقد ذهبوا

-أووه يالله نسيت موعد هيثم ووالدته

=أين كنتي ؟

-كنت بعزاء والد سعاد ... حالتها يرثى لها ياأمي

=لمّ لم تخبريني ؟

-ماذا بك أمي ! أقول لك قد توفي والد سعاد
=رحمه الله ... لكن لمّ لم تخبريني ... كدت أموت من القلق .. وجاء الرجل وأمه وذهبوا مستائين من عدم قدومك وتلاشيكي لهما ..
-يالهي ... أقسم لكِ أني نسيت تماما وانا على استعداد للاتصال بهم والاعتذار
=لا داعي آلاء ... (ذهبت أمي باتجاه غرفتها وقد بدا الضيق على وجهها)

كنت حينها في شدة تعبي فلم أشعر بنفسي الا ملقاة على فراشي واستغرقت في نوم عميق ... في الثالثة فجرا استيقظت فزعة من منامي حيث جاءتني في المنام تهاني تستنجد بي ولا أدري ماذا حدث لها وليس بيني وبينها أي وسيلة إتصال بعد أن منع زوجها عنها كل وسائل الإتصال ... لم أستطع العودة للنوم مرة أخرى وقد نسيت اليوم ان أسأل جميلة بشأن عنوان أهل ثائر .. لا بأس حين وصولي للجامعة سيكون أول ماأتذكره .. خرجت من غرفتي لأجد أمي على سجادة الصلاة في مناجاة مع الله تدعو لي الكثير أن يجمع الله بين قلبي وقلب هيثم ! بدت لي غريبة جدا لمّ تصر على هيثم هذا الإصرار ماذا رأت به لم تره في رجل سواه ...
=آلاء...لمّ تقفين هكذا ؟
-لا ...لا شيء أمي ..فقط اصابني بعض الأرق ولم أستطع العودة للنوم مرة أخرى
=تعالي هنا بجانبي ...
-...(جلست بجانبها)
=اسمعي عزيزتي... والله اني لا ارغمك على الإرتباط بأحد لكن هيثم شاب جيد جدا وسيرعى الله فيكِ وسأكون بغاية الاطمئنان عليكِ وأنتِ بكنفه لذا حبيبتي حاولي التفكير في الأمر ولن أحاول إجبارك أبدا
-حسنا أمي ... لا تقلقي ستبدو الأمور أفضل ان شاء الله وبعد يوم أو اثنين سأخبرك بقراري
=وفقك الله لما يحبه ويرضاه يابنتي

ذهبت كلا منا الى فراشها قبل أن يطلع الفجر فبعد بضعة ساعات قليلة سأذهب للجامعة ...
عند وصولي للجامعة كان أهم شيء بالنسبة إلي هو سؤال جميلة عن عنوان أهل ثائر وبالطبع حصلت عليه واتفقت معها هي وعلياء أن نذهب سوية بعد دوامنا لنلتقي بوالدته وأخته اللتان كانتا تنظران إلينا بمنتهى الضيق ويبدو على وجهها غضب الله ..
=ما تتحدثين عنه مستحيل ... ابني مهذب يتحدث الناس عن لباقته في كل مكان فكيف يفعل ماتقولينه
-أقسم لكِ انه يفعل ذلك
=*ربما تقوم بإغضابه او تقصر بحقه هي متمردة منذ عرفناها والآن تفضح أمره الى صديقاتها ... بالتأكيد أخي مظلوم ياأمي

=معكِ حق ... هيا اخرجن من هنا لا سامحكم الله .. أما صديقتكم الحقيرة التي تخرج سر زوجها فسيكون جزاؤها عسيرا ...(قامت بطردنا بإهانة بالغة)

ياالهي بات الأمر أكثر تلبكا حاولنا انقاذها ومساعدتها فدمرنا الكثير .. حاولت التفاوض معهما انا وصديقاتي وتهدئتهما لنوضح سوء الفهم لكن مالبثت تلك الحرباء أخته الا ان أشعلت النيران بكلماتها وغيرتها من تهاني ... فهي لم تتزوج بعد فلا من رجل يتقدم الا طردته بكبريائها وطريقة حديثها الهوجاء الغير متزنة ... خرجنا للأسف من المنزل مطرودين وقد زاد الأمر تعقيدا ... وللأسف حدث ماتوقعته فقد أخبرت تلك الحرباء أخاها بما حدث مع زيادة الكثير من الكذب للإطاحة بالمسكينة وبالفعل أبرحها ضربا حتى كسرت يدها وتورمت عيناها بل وقص لها شعرها وحبسها تتألم وخرج ... لعلها استفاقت حينها فقط من غفلتها حين بكى طفلها حد الإغماء خارج الغرفة التي حبسها بها بعيدا عن طفلها بلا رحمة ليعذبها داخليا وخارجيا وهو يدري ان لا حيلة لها ... قامت حينها وبدأت بالصراخ من نافذة تلك الغرفة التي اعتبرتها الأمل الوحيد لها .. أنقذها حينها الجيران وكسروا باب الشقة وأسعفوها وطفلها بالمشفى اتصلت حينها بي لتقص لي ماحدث فلحقت بها الى المشفى وحين طلب الشرطي المناوب بالمشفى ان يستجوبها ... قالت كل ماحدث وبالفعل تم كتابة محضر بذلك مع كشف طبي ... كانت المرة الأولى التي لم تفكر بها ماذا ستفعل وما ذنب طفلها لكن مارأته اليوم من الهوان مع رجل لا قلب له كان هو القاضية بينه وبينها ... امهلته الكثير من الفرص وتحملت الكثير والكثير لعله يتراجع لكن للأسف لا يجد من يقول له مالعيب وما الحرام فها هم أهله لا سامحهم الله يزيدانه غضبا تجاه زوجته بدلا من توصيته بها .... بقينا بجانبها هي وطفلها طوال اليوم ثم تم السماح لهم بمغادرة المشفى بعد الإطمئنان عليهم وأصريت عليها اصطحابها معي إلى منزلنا فليس لي أخ شاب ولا حتى أبي موجود فستكون على راحتها..وقد رحبت والدتي جدا بها فحتى والد تهاني سيرفضها هو وزوجته وربما يقدمها مرة أخرى لزوجها ويجبرها عن التنازل عن المحضر حتى لا يتحمل مسؤوليتها .. جاءت تهاني وطفلها إلينا تحمل بصدرها الكثير من الوجع ولا تدري مامصير حياتها هي وابنها وماذا سيحدث لها لكن ماكان يريحها تماما هو ان معها تقرير طبي وفي الغد بإذن الله سترفع دعوى طلاق منه وستكسبها بسهولة ...
-الحمد لله نام طفلك أخيرا
=قلبي ينفطر عليه وجعا فمنذ البارحة ونحن بتلك المشقة ... اعتذر اليكِ كثيرا الاء أشعر أني أثقل عليك ولا ذنب لك في كل هذا .. سامحك الله ياأبي ماكنت لي سندا أبدا
-حمدا لله على سلامتك ..ولا تقولي هكذا مرة أخرى أنتِ بمثابة أخت لي ولم أكن اتحمل كل مايحدث معك ..
=الحمد لله .. لكن معذرة آلاء انا الآن لا أملك أي شيء و...
-لا تكملي تهاني اخبرتك للتو أنكِ أختي وتعلمين أني أدخر بعض المال من عملي لذا لا تكترثي لشيء

=لا آلاء من المستحيل أن آخذ منكِ شيء
-اممم..فلتعتبريه دين ريثما تعودين الى الجامعة .. ستفعلي ذلك أليس كذلك!؟
=بالطبع سأعود في أقرب وقت فهذا ماتبقى لي من الماضي
-أعانك الله تهاني.

دائما ماكانت تخبرني أمي أن العلم والعمل هو كيان المرأة كانت شديدة الحرص أن تجعل مني امرأة قوية حتى لا تؤرجحني الحياة يمينا ويسارا ،علمتني أن عملي هو اتزاني أخبرتني أن مقولة ان الرجل هو السند والأمان ليست صحيحة بالكامل فالقلوب متقلبة وأن العمل واستقلال المرأة هو الكيان لذا كان هدفي دائما هو العمل والاستقلال أولا ومن ثم اختيار شريك حياتي الذي يرتضيه ديني وخلقي . الآن ومع رؤيتي لما آل اليه حال تهاني أوقن بشدة أن والدتي لم تخطئ أبدا ويجب عليّ التريث ثم التريث ثم التريث في اختيار زوجي المستقبلي . نامت تهاني هي الأخرى بعد يوم لم يكن سهلا أبدا وتركتها بغرفتي بجانب طفلها الذي احتضنته وراحت في نوم عميق وذهب لغرفة أمي حيث كانت تستلقي هي الأخرى على فراشها الذي يخلو من زوجها المسافر دائما والذي لا أراه سوى شهرا واحداً كل عام ليوفر لنا عيشة كريمة لكن أشعر أني لا أعرفه فهو دائما بعيد يعد لي بمثابة ضيف ولطالما طلبت منه والدتي أن يستقر ويترك السفر فقد بنى لنا مستقبلا جيد وادخر مايكفي من المال لنعيش بكرامة وهناء لكن هو اعتاد السفر واعتاد الوحدة ...
-أمي ..
=آلاء ... متى دخلتِ لم انتبه
-اعلم ...بماذا كنتِ شاردة
=لا شيء...اخبريني كيف حال تهاني وصغيرها
-ناما وهدأت نفسها قليلا
=مسكينة حقا.. أطال الله في عمري لأجلك آلاء ..وجود الأم يذيب الهم عن القلوب .. فالفتاة في حياة أمها تحكي اليها كل مايخصها فتهون عليها الكثير يكفي أن تتحدث معها لتريح قلبها وتعود اليها إذا ماحدث لها مكروه ..
-أطال الله بعمرك أمي فأنا لا أتحمل العيش دونك (قبلت يديها)
دق الهاتف حينها وكان المتصل أبي..ناولتني أمي الهاتف وطلبت مني أن أتحجج بنومها...
=كيف حالكم..
-بخير
=أين أمك
-أمي...انها نائمة
=لازالت العاشرة .. اممم لا بأس أبلغيها السلام ..أخبرتني والدتك بتقدم شاب لخطبتك وأنك معارضة مالأمر
-لم أتعرف إليه جيدا لذا لم أحسم أمري بعد

=وكيف تريدين التعرف اليه !... ألا تنتبهين أنكِ في الخامسة والعشرين من عمرك !
-....
=لمّ لا تجيبين ... اممم على كل فقد حجزت تذكرة للأسبوع المقبل لقراءة الفاتحة ... تقول والدتك أنه شاب مهذب ومحترم ومقتدر ماديا لذا سيكون مناسب بالطبع
-ولكن ...
=مع السلامة

أغلق الهاتف قبل أن أكمل حديثي وقد كانت أمي تستمع الى المكالمة ، نظرت اليها في ضيق لأنها المتسببة في كل ماحدث لكن استوقفني أنها لم ترد عليه كعادتها في حماس وحين سألتها أخبرتني أنها متعبة وتريد النوم ، ويبدو أنه هنالك أمرا ما لكن لا بأس ستعترف لي لاحقا فهي هكذا دائما تحاول مواراة الأمور وماتلبث أن تخبرني بعدها . نمت أنا الأخرى لكن لم أستمتع بنوم جيد لكثرة الأرق والتفكير في كل مايحدث .
في الصباح استيقظنا على ضجيج وصخب ويبدو أن ثائر عرف مكان تهاني من أبيها الخائف من التورط بابنته فيما بعد ، كان ثائر يدق الباب بصخب لدرجة أن الجيران قد تجمعوا أمام الباب وهموا بضربه لأنه غريب ونحن امرأتان في الداخل ، خرجت أنا وأمي بعدما نبهت على تهاني ألا تخرج من الغرفة مهما حدث..
=ماذا هناك !؟ لمّ تطرق بابنا بهذه الطريقة
=•أين تهاني
=ماذا تريد منها! ألم تكتفي بما فعلته بها
=•ليس من شأنك فهي ليست بابنتك .. أخبرتها كثيرا ألا تقترن بابنتك فهي السبب في خراب بيتنا
-بل أنت المتسبب أي رجل أنت!؟ كيف هان عليك صغيرك وأنت تبرح أمه في كل ليلة ضربا .. لمّ تريدها الآن
=•لا عليك ... لا يخصك.. اريد زوجتي حالا والا حطمت الباب فوق رؤوسكم
-اذهب من هنا والا اتصلت بالشرطة

بدأ الجيران في ابعاده متوعدين له ان حاول الإقتراب مرة أخرى بقي أسفل المنزل لفترة ثم ذهب ، كانت تهاني قد انهارت بكاء لكن لم يمنعها كل ذلك على أن تكمل فيما نوته لكن نصحتها أمي ألا تخرج اليوم حتى لا يؤذيها وطلبت مني أن آتي بالمحامي (صديق والدي) إلى المنزل ليتخذ الإجراءات اللازمة في رفع دعوى للطلاق ، ذهبت بعدها للجامعة وقد تأخرت كثيرا لكن وددت السؤال عن وضع تهاني وماالمطلوب لعودتها مرة أخرى وأخبرتهم أن الأوراق الأصلية من الصعب العثور عليها فطلبوا التوجه للشؤون مرة أخرى ومحاولة استخراج بعض الأوراق ودفع بعض الغرامات لتتمكن من العودة في الأسبوع المقبل ، بالفعل حاولت إنهاء بعض الإجراءات خاصة أني معيدة ولي معارف بالشؤون ومن السهل أن أنهي

ماأريده سريعا . قبل ذهابي مررت لأجلس مع جميلة خاصة أنها لم تبدو جيدة أبدا...

-جميلة هل أنتِ بخير
=بخير
-هل حدث جديد
=لا لازال الوضع معقدا لكن أبي فقد تماسكه وقد أقر هو الآخر بتطليق أمي وتركها وشأنها لما تريد فعله وطلب مني أن اترك حامد لأنه لن يتحمل رؤيته هو وأهله من جديد
-ياالله!؟ ...
=ماذا كنتي لتتوقعي آلاء .. لطالما عاهدت امي شديدة الأنانية وقد تحمل منها أبي الكثير
-لكن ..ماذا عن حامد!
=لا يتصل يطمئن برسالة قصيرة كتأدية واجب وخوفا من ظلمي .. وأنا لا ألومه على الإطلاق فأنا أعلم أن والدته هي الأخرى ترغمه على تركي بعد علاقة أمي وأبيه
-أهدئي جميلة .. أدعو الله أن تسير الأمور الى الخير ورب الخير لا يأتي إلا بالخير
=فقدت الأمل تماما آلاء .. يبدو أنها نهاية القصة

تبدو جميلة في أشد ضعفها وحقا من الصعب جدا مساعدتها فأمها شديدة الأنانية كما أن والد جميلة لابد وأنه حزين جدا لأجل خيانة زوجته ولاسيما انكسار ابنته الوحيدة هداكِ الله أم جميلة هداكِ الله . علياء منشغلة جدا هذه الأيام برسالة الدكتوراه لذا لا نحاول أن نضايقها ونشغل تفكيرها بما نمر به فهي الأخرى تحاول أن تلملم بقاياها محاولة إثبات نفسها وكيانها. سعاد لازالت في إجازتها الإعتيادية فحالتها النفسية لم تتحسن بعد وفاة والدها أود زيارتها لكن ها أنا بين الكثير والكثير من المآسي ولا أريد ترك تهاني وطفلها مع أمي وحدهما فثائر انسان متهور ولا أضمن ردة فعله أبدا . ياالله ماكل هذا لمّ يحدث ذلك كله تأتي المصائب تباعا حقا لكن أرجوك ياالله أن تنعم علينا بالفرج فالقلب قد انفطر.
اتصلت بالمحامي واخبرته أن يأتي إلينا في السابعة مساءا وشرحت له الأمر جيدا .. كان عليّ حينها أن ألتحق بالصف الخاص بي لمزاولة مهنتي ومحاولة تصفية ذهني لأقوم بعملي على أكمل وجه ، حين دخولي الى الصف كعادتي كان وجهي لمقعدي بعدما ألقيت السلام ، بدأت ببعض الحديث عما مضى من المنهج ثم بدأت بشرح احدى المسائل على السبورة ليدق الباب فجأة...
-تفضل بالدخول
=السلام عليكم (كان هيثم)
-...(بالطبع صعقت حين رؤيته لكن تمالكت نفسي ودفعت عني الحرج).. عليكم السلام

=من فضلك استاذة آلاء هل لي بدقيقة من وقتك
-لكن كما ترى انا مشغولة الآن .. يمكنك انتظاري ريثما أنتهي (لا أدري كيف اندفعت هكذا معه دون اكتراث لشعوره بالحرج)
=...(بدا عليه الحرج لكنه تفهم الأمر).. حسنا لا بأس انا في انتظارك

أكملت العمل وكأن شيئا لم يكن أو ربما تظاهرت بذلك وفور انتهائي خرجت لأجده لا زال في انتظاري ...
-آسفة لما حدث ..لكن هنا بالجامعة موقف كهذا قد يجعل الطلاب يتفوهون بما لا يليق بي لذا أنا آسفة
=لا بأس لا تعتذري انا لم انتبه لذلك .. انا أيضا آسف
-...(احترمته كثيرا فلم أسمع من قبل عن رجل يعتذر بهذه اللباقة بعد موقف سخيف كالذي وضعته به)
=...(كان يختلس النظرات إليّ محاولا ألا أنتبه له)
-تفضل معي الى مكتبي هذه المرة الأولى التي استقبل بها ضيفا لي ... رغم أن الضيف لم يخبرني بقدومه لكن لا بأس (قلتها مازحة محاولة تلطيف الجو)
=...(ابتسم بهدوء).. اعتذر مرة أخرى عن تلك الفعلة أيضا لكن وددت الحديث معك

مشى بجانبي الى ان وصلنا الى مكتبي المتواضع الذي لا يخلو من زميلاتي المعيدات لكنهن احترمن وجود ضيف وتحججت كلا منهن بشيء ما خارج الغرفة حتى لا يسببن لي حرج أو إزعاج ...
-ماذا تحب عصير أم قهوة ام مشروب غازي
=شكرا لكِ... يكفيني فقط كوب من الماء
-..(قمت بالنداء الى إحدى العاملات وطلبت منها العصير مع الماء المبرد)
=آنسة آلاء ... لمّ أشعر أنكِ دائمة التهرب من لقائي
-انا ... لا أبدا ... صدقني تحدث فقط بعض المصادفات الغريبة
=امم..حسنا لا بأس.. رغم أنه يقال أن مانشعر به تجاه من نحب يكون حقيقة
-لعلك أخطأت التعبير أو ربما خانك
=لا لم أخطئ
-ماذا تعني
=اعني....
دخلت حينها العاملة تحمل ماطلبت منها ووضعته وذهبت ومن ثم أخرجت من حقيبتي زجاجة صغيرة وفتحتها واضعة منها بعض النقاط على كوب الماء الخاص بي..
=ماهذا
-ماذا هناك !؟
=ماذا وضعتي لتوك !؟

-اها.. تقصد هذه(ممسكة بالزجاجة في يدي).. انها زجاجة ماء الورد ... احب مذاقه كثيرا ولا يخلو ماء شربي منه
=رائع حقا ... هلا سمحتي لي ببعض منه
-بالتأكيد تفضل ... سيعجبك كثيرا
=...(تناول الماء بعد اضافتي لماء الورد وقد تلذذ به جدا وانتعش ثم نظر لي بابتسامة لطيفة).. كنت أعني ماقلته منذ قليل
-كيف ذلك دكتور هيثم ... لم تلتقِ بي سوى مرة واحدة فكيف وقعت بحبي !؟
=لم تكن المرة الأولى آلاء ...
-ماذا تقصد!؟
=قبل شهر مضى كنتي مع صديقاتك بمطعم الحاتي الذي يقع على مقربة من هنا وكنت أنا ووالدتي نجلس في الطاولة المقابلة لكِ لكن ربما لم تنتبهِ لنا ... حين رأيتك لم أستطع أن أبتعد بعيني عنكِ كنتِ تتحدثين باتزان وابتسامة تشرق الروح لاحظت أمي شرودي وحين إلتفتت لترى من تلك التي أشردتني بها وجدتها تضحك سعيدة لتفاجئني أنكِ ابنة صديقتها التي لطالما حدثتني عنها وأنا الذي لم استجب لها لرفضي لزواج الصالونات
-يالله !!!... يالغرابة الصدفة ... رغم أن حديثك عني يبدو غزلا لا يعطيك فرصة الحب أيضا
=كانت تلك المرة الأولى وقد منعت والدتي من الذهاب إليك والتحدث معكِ ومن ثم طلبت منها أن تحدثني عنكِ وعن مكان عملك .. وقد أتيت هنا لأكثر من مرة وكنت أراقبك عن بعد وتأكدت حينها أني احببتك حقا وقررت أن اقترب منك لكن في إطار رسمي
-...(لم أستطع الرد حينها فحديثه بدا لطيفا جميلا بل ورومانسياً أيضا)
=اعتذر على جرأتي في الحديث لكن اسمحي لي بفرصة التعرف إليكِ والتقدم إليك بشكل رسمي دون أن أشعر أنكِ مجبرة من والدتك ..
-لست مجبرة أبدا .. فقط كان الأمر مفاجأة بالنسبة إليّ حين تركونا سوية لكن بعد حديثك هذا شعرت أنكِ شخص تستحق أن أمنح قلبي فرصة التعرف عليك
=...(بدت عيناه لامعة جدا من الفرحة)

لم أتخيل لطوال حياتي أن أرى تلك اللمعة بأعين شخصا ما لمجرد أنه يتمناني كان حلم بالنسبة إلي لكن لا أريد أن انجرف كثيرا فدائما البدايات جميلة لكن مايتلوها هو الأهم . بعدما انتهينا من الحديث كان دوامي أيضا قد انتهى وأصر أن يقوم بتوصيلي الى المنزل لكن كنت أنا ايضا مصرة ألا يحدث فهو لا زال غريبا لا يصح أبدا أن أسمح له بذلك وقد احترم ذلك وذهبت وذهب هو الآخر.
فور وصولي للمنزل كان سائر يقف جانبا مستنداً الى سيارته وما أن رآني حتى أتى نحوي مسرعا...
=أستاذة آلاء ... أستاذة آلاء ..بالله عليكِ انتظري(بدا صوته مهذبا هذه المرة ويبدو أنه يريد خيراً)

-..ماذا هناك ... لماذا تركض خلفي بهذه الطريقة ... ماذا بعد (حاولت أن أكون صارمة معه)
=اريد رؤية تهاني وطفلي .. أرجوكِ أريد الحديث معها
-أي حديث هذا الذي يقال بينكما بعد كل الذي صار ... يكفي ماحدث لها ولطفلها لم ترحمها سائر لم ترحم ضعفها وقلة حيلتها ...يكفي سائر اتركها وشأنها .. حتى اني ذهبت الى اهلك وطردوني شر طردة وقالو عنها أسوء الكلام .. انت لم تحافظ عليها
=....(لم يرد بل نكس رأسه لأسفل دونما اي حديث)

ذهبت أنا وتركته كما الرضيع الذي فطمته أمه دون سابق انذار ليبقى دونها في هذيان.
كانت أمي تجلس الى تهاني تحاول تخفيف الأذى عنها ببعض الحديث والحكايات فأمي لا تتمنى طلاقها أبدا لأجل الصغير المسكين هي تود لو تجعل سائر فقط يشعر بقيمتها لكن كمثل ثائر لن يتغير فالطبع يغلب التطبع ومن الواضح من حديث أهله أن نهجهم في التربية لا يراعي الله أبدا .. جلست على الأريكة المواجهة لهم دون قطع حديثهم ولشدة اندماجهم لم يلحظوا تواجدي كان الحديث بينهم كالتالي فحتى الصغير كان يشاركهم بتعبيرات وجهه الحزينة فما مر به لن ينساه أبدا مادام خالدا ....
=اسمعيني تهاني .. لا زواج دون مشاكل وضغوط ويجب ان تتحمل المرأة لأجل صغارها لأجل نفسيتهم
=* خالتي بثينة صدقيني حاولت التحمل كثيرا لكن لا فائدة وها أنتِ ترين حالتي أنا وصغيري ماذنبه... وأي نفسية تلك التي تتحدثين عنها هو لا يكترث أبدا لأمرنا كل مايشغله حياته ومزاجه هو شخص شديد الأنانية وأنا لم أعد أحمل له بداخلي سوى مشاعر الكراهية هو لا يستحق فرصة من جديد
=لا تأخذي الأمور هكذا تهاني حاولي التفكير مجددا ..(انتبهت أمي لتواجدي)... آلاء متى دخلتي!؟
-منذ دقائق .. لكن انزعجت كثيرا من حديثك امي... كيف تسمحين ان تعود تهاني لذاك الوغد من جديد
=آلاء ليس من الاحترام أبدا الحديث عنه هكذا فسيظل زوجها او ربما طليقها لكنه أبيه لذاك الطفل ويجب احترامه .. وهل تظنين ان الدنيا كلها ملذات لا بد من شدائد وعوائق كثيرة لا سعادة تستمر للأبد ولا حزن أيضا
-أفهم ذلك امي .. لكن هنالك من يستحق التضحية وهناك من لا يستحق وكمثل ثائر لن يتغير فهذه خامته ومعدنه .. تربى على ذلك والله لو استمعتي لحديث أهله فلن تتحدثي هكذا ..
=أيا كان .. كل شخص يأتي عليه وقت ويتغير فإما يهديه الله وإما يبتليه فيهتدي ..(ثم نظرت الى تهاني التي تسمع في صمت)..عزيزتي فكري كثيرا واعلمي أنكِ هنا كما ابنتي آلاء تماما لن أتخلى عنكِ وسنقوم بتأديبه كي لا يعاود مافعل لكن

فكري كيف تغيرينه وكيف تجعلي حياتكما للأفضل فالمرأة تستطيع تغيير زوجها بأفعالها واهتمامها وتلاشي أخطاؤه المتكررة وعدم التدقيق على كل شيء
=* ...(لم ترد ربما لم يعجبها الحديث مثلي تماما وراحت تنظر نظرة طويلة لطفلها الذي كان يمسك بيدها في رفق وكأنما يطمئنها أنه معها)
=سأقوم بتحضير السفرة حالا ...

قامت أمي وتركتنا فجلست بجانب تهاني وقمت بالربت على كتفها...
-تهاني تعلمين جيدا أن أمهاتنا بهذا السن يكون حديثهم بهذا الشكل لكن لا تحزني وفكري جيدا من جميع الجوانب وأنا بجانبك بأي قرار
=* الله معنا آلاء ... هل سيأتي المحامي اليوم
-نعم سيأتي بعد ساعتين
=*جيد ..(بدا عليها الحزن أكثر من الواضح أنها لازالت تحبه)
-...(لم أرد مضايقتها فحاولت تركها تفكر ملياً بالأمر).. سأقوم بتبديل ملابسي ريثما تنتهي والدتي من تحضير الغداء ..

المشكلة أن المرأة حين تحب فإنها تحب بعمق لكن هل تظل تتعمق بحبها حتى بعد اهانتها بشدة من محبوبها!؟ لا أفهم كيف لقلبها أن يودي بها للتهلكة وهي تعلم كل العلم أن مصيرها معه تهلكة لا محال .

بعد الغداء وبينما نحن نحتسي الشاي جاء الصغير بجانب تهاني وبدأ يتمتم ببعض الكلمات الغير مفهومة كعادة الأطفال في سنة فلا زال في الثانية من عمره...

-ماذا يريد تهاني ... هل يفضل الحلوى بعد الغداء !
=لا لا شكرا آلاء هو يريد مالا أستطيع القيام به ... أرهقتني يا زين (كادت أن تبكي)
-اهدئي عزيزتي ماذا هناك
=يريد أباه يا آلاء من أين آتي به هو ليس هنا لم يعد هنا لا تسأل عنه مجددا (بدأت بالصراخ ربما فقدت هدوئها التي تحاول دائما الحفاظ عليه)

جاءت امي مسرعة من الداخل وحملت الطفل الذي راح يبكي بشدة خائفا ، وجلست أنا بجانبها بعدما بدأت بالبكاء هي أيضا ..

حين تتحامل الأثقال على عواتقنا لا نكاد حتى ننهار في لحظة على أمورا بسيطة فيكون الصبر قد تخطى كل الحدود.

-لا تبكِ ولا تسجني الحزن بأسوار قلبك ...حرريه وبثي عنه لكي ترتاحي قليلا ..
=لا أستطيع لم أعد أتحمل ...هنا يؤلمني كثيرا (أشارت الى قلبها الممزق وجعا)

-ألا زلتِ تحبينه!؟
=...(صممت قليلا ثم نظرت لي بحدة) .. احاول كرهه لكن لا أستطيع لا أحد لي غيره لم أحب غيره بحياتي اشتاق لأن يضمني حتى وان كان لا يهتم لأمري كثيرا اشتقت اليه آلاء رغما عني .. ذاك اللعين الأيسر يشتاقه ولا أستطيع ايقافه
-بعد كل ماحدث !؟
=توفيت أمي وتخلى عني أبي ماذا تنتظرين منه آلاء .. اَي رجل في مكانه سيفعل هكذا ..
-تبررين ماذا تهاني ... تبررين ماذا ... هل جننتي.. أين كرامتك .. أنسيتي تلك الجروح انسيتي بكاء طفلك خارج غرفة حبسك بها وأنقذك جيرانك ..قومي واسكبي الماء على وجهك وتعافي منه حبه
=... (ربما تضايقت من حديثي فقامت) سأقوم بالصلاة لعل الله يريح قلبي

لم يكن ثائر سوى مرض يجري بعروقها كسرطان متشبث بصاحبه لا يريد تركه الا بعدما يتخلص منه ، ومع ذلك فهي تتلذذ به لا زالت تشتاقه الغبية عافاكِ الله منه تهاني وهداك الله يا ثائر ..

ذهبت انا لأمي داخل الغرفة وكان الصغير قد نام بعدما هدأته أمي واحتضنته فنام بعد أن أخبرها أنه يشتاق لأبيه ...
-مسكين يا زين ...ماذنبك باختيار أمك السيء
=لا احد يظل على حاله
-ماذا تقصدين
=ربما يتغير ... من يفعل هكذا يكون ضعيف جدا ... الرجل الذي يتطاول على امرأة هو ضعيف لذا يحاول أن يشعر بالقوة أمامها
-وكيف سيتغير أمي .. هذا طبعه لم تربيه أمه كيف يحترم النساء
=بالدعاء ..الدعاء يغير كل شيء ..
-ثائر تحدث اليّ اليوم
= ماذا قال !؟
-كان منكسر جدا .. يريد الوصول اليها بأي طريقة ..يود الحديث معها
=جيد ... هذا ماتحدث عنه ..هناك رجل لا يكترث لأمر زوجته أبدا وهناك آخر حين يحرم منها يجن جنونه عليها وهناك آخر حين تقوى عليه وتبتعد عنه يعرف قيمتها جيدا بل ويحاول التغيير
-أمي .. ماهو رأيك فيها .. كيف ضعفت تهاني هكذا ..
=لازالت تحبه ..بالتأكيد بينهما بعض من الذكريات الجميلة فكما قلت لكِ الحياة تحمل الحلو يشوبه بعض المرارة لذا هي اشتاقت حتى لأقل القليل منه
-لكني لا أريد عودتها اليه
=لن تعود الآن ..اتركيه يتأدب قليلا
-كيف !؟

=تتلاشاه ...تعود لعملها ...تهتم لنفسها ...سيحاول الوصول اليها من جديد ترفضه مرة وأخرى وأخرى ولن يمل أبدا هو ضعيف بها رغم تجبره عليها .. كان يضمن بقائها وتركته لذا سيحاول الحصول عليها فالرجل كالطفل يناضل كثيرا لأجل لعبة يريدها فإن حصل عليه يبحث عن أخرى لأنه ضمنها لكنه حين يشعر بخسارتها يحاول استرجاعها والاهتمام بها من جديد
-اممم .. هداه الله ...هل تحدثتي مع ابي
=لا
-ماذا هناك أمي!؟ ليست الأمور جيدة أبدا بينكما ..كما أن مزاجك ليس بجيد
=لا شيء آلاء
-ان لم تحكي لي لن أحكي لكِ ماذا حدث اليوم
=ماذا حدث
-لن اخبرك ..(قلتها مبتسمة كأني أمازحها)...اخبريني أولا
= حسنا سأخبرك ..
-(اعتدلت في جلستي وكلي اتصلت إليها فهما يهيمان عشقا ببعضهما)
=الأسبوع الماضي كنت اتحدث اليه ثم سمعت بجانبه صوت احداهن ..(وصمتت)
-ثم ماذا !؟
=ماذا تريدين أكثر من ذلك
-هل تمزحين أمي .. ماذا قال عنها
=لم يقل شيئا ولم أخبره لكنِ مستاءة جدا منه وهو لم يلحظ استيائي ولم يسألني سوى مرتين عن سبب تغيري معه
-هل أخبرتيه !؟
=لا هو لم يلح
-أمي... بالله عليكِ قولي أنكِ تمزحين معي .. هل هذا سبب لكل ذلك .. ربما امرأة تمر بجانبه او زوجة صديق له أو بائعة عاملة طبيبة اي شيء ... ماهذا التفكير الغريب
=هذا ماشعرت به .. لا تسخري مني .. تعلمين جيدا كم أغار عليه
-آه من حبكما المشتعل هذا ... والله لن يمضي اليوم الا وأنتما تتحدثان كعادتكما .. الرجل في غربة لا ترهقيه ..تعلمين أنه يصونك كل الصون ويحبك أضعاف ماتحبينه
=حسنا سأتحدث اليه ... اخبريني أنتِ ماذا حدث معك
-اليوم قد ...(دق الهاتف حينها فقطعت حديثي وقمت بالرد)
كان المحامي اتصل ليعتذر عن عدم المجيء لظروف طارئة فتفهمنا الأمر وذهبت لتهاني أطمئن عليها أنا وأمي التي بدأت تتحدث اليها كما الأم لابنتها حتى تفهمت تهاني حديث امي واخبرتها أنها ستقوم بتنفيذه بشأن العمل والنجاح بحياتها وكيانها .

آه من نساء حواء على اختلاف أعمارهن تشتعل الغيرة دائما بقلوبهن تجاه أي أنثى وكأنها فطرة خلقنا عليها -كان الله بعون الرجال- . هاهي أمي على كبر سنها الا

أنها لازالت كالفتيات في سن المراهقة تغار وتحزن بل وتنتظر من والدي أن يحاول معرفة مايحزنها بالسؤال كثيرا لتشعر هي باهتمامه فتخبره فيوضح فتسامح ألم أقل -كان الله بعون الرجال-

بعدما تأكدت من عدم وجود ثائر اسفل المنزل لعله ذهب لعمله أو أهله اصطحبت تهاني معي واتفقت مع تهاني وجميلة وعلياء وسعاد أن نلتقي بمطعمنا المفضل لتناول العشاء فلم نجتمع جميعا منذ زمن بعيد. أمي تعلقت كثيرا بزين (صغير تهاني) لذا أصرت أن تقوم بدور الجدة وتجلس بتحفيزها ريثما تعود أمه وهو أيضا منسجم معها كثيرا ..
وصلنا جميعا للمكان بكل شوق فكلا منا تحمل بداخلها الكثير من الحكايات التي تود الحديث عنها ...

-نورت جلستنا من جديد بتواجد تهاني وسعاد
=شكرا آلاء ...أدامكن الله بحياتي فلولاكن ما كنت لأعبر محنة وفاة أبي(كان الحزن لا زال يملؤ عينيها)
-لم نفعل سوى الواجب سعاد .. لا بد أن تعودي للعمل وتندمجي بالحياة .. جميعنا نعلم انه ليس من الهين أبدا ماحدث لكن الله أراحه من عذاب المرض .. وسيعوضه الله علما وحبا وسندا بإذن الله
=بإذن الله آلاء بإذن الله
=• اعتذر إليكِ سعاد لم أعلم سوى الآن بموت والدك .. عظم الله أجرك حبيبتي وألهمك الصبر
=الحمد لله تهاني ... والله لولا وجودكم لكنت سأموت وحيدة الأهل والأقارب تفرقوا لم يعد أحداً يهتم لشأني.. أتعلمي!؟ فور أن حادثتني آلاء وأخبرتني أن نجتمع قمت مسرعة ارتدي ملابسي لأبث عن صدري كل الذي فيه
-حبيبتي .. نحن هنا دائما بجانبك ..
=* ...(كانت جميلة تجلس بهدوء تام)
-جميلة .. تحدثي عزيزتي ..هل هناك جديد.
=* لا أعتقد .. وكأن أمي ووالده في سن المراهقة متمسكان ببعضهما على حساب الجميع وأبي كأي رجل شرقي يريد تأديب والدتي وعدم طلاقها فتنوي هي القيام بخلع للتخلص منه ، وتحادثني والدة حامد يوميا تنهال بالدعاء عليّ وتطلب مني الذهاب عنهم واليوم بعدما طلقها زوجها اتصلت بي تقسم بإنتهاء علاقتنا ..
-يالله .. يالله ماهذا ..كنت أحسبه بالقصص فقط يحدث هكذا .. هل تحدث حامد
=*لا لم يتحدث ابدا .. واظنه لن يتحدث لعله لا يريد أن يجرحني أكثر من ذلك .. فالأمور باتت واضحة .. انتهينا آلاء انتهينا ... لا سامحك الله أمي لا سامحك أبدا ..(بدأت تبكي بشدة)
-ارجوكي ..اهدئي قليلا .. جميعنا نمر بكل ماهو قاسي الحياة حلوة يشوبها بعض المرارة ومن بداية الأمر نعلم أن ذلك سيحدث وان لم تتطور الأمور هكذا فأيضا

كان من الصعب أن تستمرا بعد علاقة والدتك بأبيه ... هو أيضا بالتأكيد محطم جدا فسيعوضكما الله ويجبر قلوبكما.
=^ ...(كانت علياء تستمع في صمت لتخرج عنه) لا تحملي والدته كل اللوم أيضا فما حدث كان رغما عنها فجأة تخلى عنها رجلها لأجل امرأة أخرى كان وجودك السبب في معرفتهما .. فهي أيضا محطمة .. أمك امرأة سيئة جدا حطمت الجميع لأجل سعادتها . أعانك الله
=* ... (كانت تستمر في البكاء ونحاول تهدئتها)

جاء حينها عامل المطعم ليسأل عن طلباتنا فطلبت بالنيابة عنهن جميعا البيتزا فقد كان الجميع في حالة حزن وبكاء وينظر الينا جميع من في المطعم الناس يخرجون للتنزه ونحن نخرج للبكاء ..
-سأخبركن بما يدخل الضحك على قلوبكن
=^هاتي ماعندك (قالتها علياء ببرودها المعتاد)
-منذ بداية الأسبوع وأمي لا تتحدث الى ابي ومستاءة منه واليوم اسألها تقول حين حادثني منذ أسبوع كان صوت امرأة بجانبه ولم يسألني عن تغيري معه سوى مرتين هههههه ...
=*هههههه .. أمك تتصرف مثلنا
=ام آلاء حديثها دائما ممتع والله اشتقت اليها
=^ قومي بدعوتنا للغداء عندكم آلاء ... ورق العنب والحمام المحشي بالأرز وبعض المكرونة ولا بأس بشوربة الكريمة أيضا ..
-هههههه سيكون قريبا جدا فأود أن اخبركم بشيء
=ماذا
-تقدم لخطبتي شاب من معارف والدتي ووالدي مُصر عليه وسيأتي الأسبوع المقبل لقراءة الفاتحة
=ماذا !؟ ... هكذا فجأة
-للأسف حدث فجأة رتبت امي منذ يومين موعدا لتضعني امام الأمر الواقع واليوم جاء إليّ في الجامعة وتحدث إليّ لعلي ارتحت اليه قليلا اليوم وأحسبه جيدا
=•ألم تحاربي كثيرا لأجل الزواج عن حب !
-أرغمني أبي وأمي هذه المرة وأحاول إعطاء فرصة لنفسي لعلي أحبه حقا ..لا ادري ربما لا نتفاهم ونفترق
=*بإذن الله ستجري الأمور على خير .. مبارك آلاء
=^كل مايهم في الأمر هو أن هناك دعوة قريبة لبيت آلاء وطعام أم آلاء

ضحكنا جميعا وبدأنا الحديث أكثر فأكثر فعليات لا تهتم كثيرا بشأن الحب والزواج كل مايشغلها هي الدكتوراه والسفر خارجا والحياة لأجل نفسها لطالما حاول أهلها إقناعها بالزواج لكن باءت جميع المحاولات بالفشل لذا استسلموا للواقع ، جميلة لن تصبح جيدة بين يوم وليلة الأمر صعب جدا وانقطاع حامد عنها رغما عنه فلا

يجوز الإستمرار على حطام والدته بالتأكيد تضغط عليه كثيرا أعانهما الله وسامحك أم جميلة ، سعاد لا زالت تعيش على ذكرى والدها فقيد قلبها لكن ستمر الأيام وسيجبرها الله ويرزقها زوجا صالحا يرعى الله فيها ، تهاني حبيبتي لم يحاول أحد أن يفتح جراحها لأن مامرت به ليس من السهل أبدا لذا كان الحديث عن العمل وطفلها وحياتها العملية ، وتحدثت أنا عن هيثم الذي بدا يروق لي بعد حديثه معي اليوم .
حين عودتنا للمنزل اتصلت أمي لتخبرني أن ثائر يقف أسفل المنزل وأن زين قد نام منذ قليل فاصطحبت تهاني لنتسوق قليلا ريثما يمل ثائر ويذهب وبالفعل ذهب في العاشرة مساء بعدما فقد أمل لقائه مع تهاني لعله عرف قيمتها الآن بعد تلاشيها له بل والتنازل عنه .

يأتي ثائر يوميا في محاولات منه للقائهما متمالكا أعصابه مع برودتي اللامتناهية معه وكلما رأيته مستميتا في ذلك كلما طلبت من تهاني التمادي في تلاشيه فغالبا هو من نوعية الرجال الواجب التعامل معهم بحدة دون ضعف فكلما رأى ضعفها كلما تمادى وكلما رأى قوة منها تمادى ايضا في محاولة الحصول عليها وكسب رضاها من جديد . يوم بعد يوم تحسنت نفسية تهاني قليلا وبدأت جديا في محاولة مراجعة المنهج استعدادا للعمل من جديد كنت احضر لها يوميا كتب ومراجع لكي تكون على دراية كاملة بكل شيء ريثما تنتهي اجراءات عودتها للعمل ، أما ثائر فلم يكل أو يمل بل ظل يأتي يوميا مما جعلنا نلغى موعدنا مع المحامي والاكتفاء بتأديبه قليلا ومن ثم وضع شروط لحياة جديدة ان وافق بها فأهلا ومرحبا وان تمرد وعاد لسابق عهده فلا أهلا ولا سهلا ، أنا وهيثم أيضا بدأنا نتحدث يوميا بالهاتف بعدما أذن الأهل لنا بذلك اشعر بانجذاب شديد نحوه كما ان حديثه مليء بالحيوية والطموح نحو مستقبل أفضل لنا.
في الغد سيصل أبي بإذن الله وأرى أمي مشرقة كعروس جديد احتفاء بقدوم أبي الغائب عنا قرابة السنة وها نحن نعد أطيب الطعام والحلوى المحببة لنفسه وروحه ..
=خالتي بثينة ... اعتقد أنه حان الوقت لذهابي لمكان آخر ..لن يكون من الأدب أن أظل هنا بعدما يأتي عمي
=•يالله ... كيف تقولين ذلك يا تهاني .. أنتِ كما ابنتي آلاء ولن تذهبي من هنا حتى نطمئن عليك وتعودين لعملك وكيانك ومن ثم نكفل لكِ حياة كريمة مع زوجك ..
=لا أعلم خالتي أشعر أني مشوشة حيال ذلك .. لا أدري هل أعود اليه أم اتركه .. اخاف أن يكون القادم أسوأ معه
=•لن يحدث هذا أبدا ... ألا ترينه وقد جن جنونه منذ تركتيه .. هو متمسك جدا بكِ كان فقط يريد هذا التهديد برحيلك ليعرف قيمتك ويعلم جيدا أنه من السهل عليكِ تركه وليس كما اعتاد وجودك وتفانيكِ في الاخلاص له واحتياجك اليه .. ها انتِ ستعودين للعمل ولن تتركي العمل ابدا وهذا شرطك الاول للعودة .. وعند وصول والد آلاء سأجعله يتحدث مع ثائر بالأدب والمعروف ..

=بإذن الله خالتي ..
-سيصبح كل شيء على مايرام يا تهاني ... لكن ضعي هذه الأمور جانبا الآن فقد نضج الباشميل فأعديه لنا ..(كنت احاول تغيير مسار الحديث والأهم أن تهاني طاهية ممتازة جدا ومن حظنا الوفير وجودها اليوم ثم نظرت لأمي).. أتعلمين أمي تهاني تطهوها بمنتهى الجمال
=•ها هو المطبخ أمامكما فلتفعلا ما تفعلا

بدأت تطهو وأنا أقف بجانبها ألاعب زين الذي أضحى بمثابة روحي لطالما تمنيت لي أختا ألاعب صغارها والحمد لله رزقني أختا كتهاني . كان الوقت يمر سريعا وقد أنهينا كل شيء ووصل أبي الغالي الذي اشتقته كثيرا ربما لم أعتد كثيرا على وجوده لطوال عمري كان ذاك الضيف الذي يزورنا مرة كل عام ويذهب كان دائما بالنسبة لي ذاك البابا الذي يحمل لنا الهدايا كل عام ، لكن هذه المرة اشتقته حقا خاصة بعد ماحدث مع تهاني وتجردها من الأهل شعرت حينها فقط أن الأب بمثابة حائط نتكئ عليه نحتمي به فإن سقط سقطنا .
قد يكون أكثر ماأسعدني هذه المرة هو قدوم أبي محملا بالهدايا لتهاني وطفلها أيضا جابرا لخاطرها، بعدما استقبلناه وتناولنا جميعا الطعام الذي كان بمنتهى اللذة فعلى حق فعلا أن الطعام المطهو بسعادة وحب يكون لذيذ فهو يحمل السعادة من طاهيه لآكله ، وعلى طريقة أبي الخاصة أراد مفاجأة أمي الذي اشتاقها كثيرا ومنعا لإحراج تهاني فقد أصر على اصطحاب أمي لفندق كان قد حجزه له ولأمي الليلة كان الأمر مضحكا بالنسبة لنا لكن بالطبع بدا لطيفا وبغاية السعادة لأمي التي ذهبت سريعا للإستعداد للذهاب وكأنما يصطحبها حبيبها لحفل عشاء ليطلب يدها الليلة .
كان لزقزقة العصافير في صباح اليوم التالي أثرا مشرقا لنفوسنا فاليوم هو بداية جديدة في حياة تهاني ستتسلم عملها وسيذهب زين الى روضة مجاورة يعتنون بالأطفال في مثل سنه وستحقق تهاني ذاتها واستقرارها من جديد ثائر لم يستسلم أبدا بل أضحى هو نفسه يقدم التنازلات وهو يصرخ بتهاني وهي تركب السيارة عودي تهاني اقسم أني سأموت بدونك لن أؤذيك من جديد سأعطيك الحرية الكاملة لكن عودي أرجوكي لم نتوقف وذهبنا في طريقنا قبل أن يلحق بنا ثائر الذي من الواضح أنه تعلم الدرس جيدا ، اتصلت بعروستنا الجميلة (أمي) لأخبرها بما حدث ...
=جيد آلاء هذا ماكنت آمله وقد حدث .. بإذن الله سنعاود الى المنزل بعد قليل ويتحدث والدك اليه ويكفل جميع حقوق تهاني
-بإذن الله
=بعد انتهاء عملكما اصطحبي تهاني الى الصالون النسائي المجاور سأحجز لتهاني هناك
-لمّ
=لتعود مع زوجها في المساء
-ولمّ تذهب للصالون
=آلاء ...ماهذا الغباء.. ريثما تكبرين سأخبرك

-هههههه حسنا امي فهمت

اغلقت معها وكانت تهاني قد فهمت من سياق الحديث وتبدو عليها الفرحة العارمة فهي تحبه كثيرا وتود العودة اليه منذ تركته لكن الآن ستصبح عودتها له بعد درس قاسي أفضل لها وله .
كان جميع الزميلات فرحين جدا لقدوم تهاني فقد اجتمعنا من جديد بعدما رحب بها الجميع وذهبت كلا منهن لعملها وبقينا نحن الخمسة انا وتهاني وجميلة وعلياء وسعاد التي تحسنت نفسيتها قليلا ، تحدثنا كثيرا ومزحنا أكثر باستثناء جميلة التي كانت في وادٍ غير وادينا فاصطحبتها خارج الغرفة وتركنا البقية ...
-هل من جديد
=يبدو أنها حرب
-حرب..لم أفهم
=لا أعلم ماذا أقول ... فكأنما هي حكاية في كتاب وليس بالواقع
-ماذا هناك جميلة
=والدة حامد
-ماذا بها
=منذ ثلاث أيام اتصلت بوالدي لتشكو له وتوبخه أن نبتعد عنهم فاتفق والدي ان يلتقي بها ليتحدثا في الأمر فهو مظلوم مثلها وخانته زوجته كما خانها زوجها ومنذ يومها وهما يتحدثان كثيرا ويلتقيان يوميا
-وثم !؟
=ثم أنها حادثتني صباح اليوم تدعوني أنا ووالدي على الغداء بصفتي خطيبة ابنها !
-هههههههه الأمر بات حربا لكن حربا مضحكة
=آلاء كفاكِ مزاحاً أنا مستاءة جدا
-لمّ بات الأمر لطيف .. لكن هل طلقها والد حامد !
=ماكتشفته انه طلقها منذ فترة لكنها لم تخبر أحدا في محاولات منها للحفاظ على بيتها لكن بعد دعوى الخلع التي رفعتها أمي ضد أبي فتأكدت أنه لا أمل بالحفاظ على منزلها مع رجل خائن
-وهل تحدثتي مع والدك ...
=لا .. لكن يبدو مزاجه لطيف وخلال لقاءاتهما الأيام الماضية كان شديد الاهتمام بذاته كشاب في العشرين من عمره
-هههههه والله اني سعيدة يا جميلة ... الآن أنتِ وحامد ستعودان وتستتب الأمور وبعد فترة سيتزوج والدك ووالدته وتنسيان كل الذي حدث
=أتظنين ذلك !؟ .. لكن كيف احبا بعضهما سريعا
-ربما ليس حبا ! .. قد يكون هونا على بعضهما قد يكون كلا منهما يشعر أنه بذلك ينتقم بأخذ حقه
=الله يستر
-صدقيني ستسعدين قريبا ..

=آلاء آلاء..(قالتها وتبدو المفاجأة على وجهها)
-ماذا
=لا تنظري خلفك ... هيثم قادم باتجاهنا
-اووووه ... ياإلهي لم يخبرني ... (بدوت مرتبكة جدا) كيف أبدو .. ها .. كيف حجابي !؟ هل هو منضبط .. كيف ثيابي.. يالله قلبي يكاد يخرج من مكانه
=•السلام عليكم
=عليكم السلام .. سأستأذن أنا آلاء لدي محاضرة (وذهبت وعليها بعض علامات الارتياح)
-أهلا هيثم (بدت وجنتاي شديدتا الحمرة من الخجل وعيناي تلتمعان من الارتباك)
=•أعتذر عن مجيئي دون اذن
-لا بأس ... تفضل ..ماذا تحب أن تشرب
=•لا شكرا .. كنت بالقرب فجئت لرؤيتك .. فقد اشتقتك
-(كنت سأموت حين قالها) .. تفضل ... تقول ماذا تشرب ..قلت عصير ليمون... حسنا .. (مرتبكة جدا)
=•(تبسم لرؤيتي على هذا الحال).. ماذا بكِ .. سأراكِ في المساء
-في المساء.. لمّ
=•سنأتي في المساء أنا ووالدتي للترحيب بوالدك لعودته من السفر .. و..
-وماذا !
=•ونتفق عن ميعاد لقراءة الفاتحة
-هكذا سريعا !؟(قلتها بخجل وانا امسك بطرف حجابي)
=•نعم ... ياليته كان ميعادا لزواجنا
-..(أصابتني كحة شديدة)...
=•اسف اسف ... هل أنتِ بخير
-نعم ...
=•سأذهب الآن
-وعصير الليمون
=•لم تطلبيه بعد ...هههههه اراكي في المساء (ثم ذهب في سعادة)

ذهبت كلا منها للعمل وبقيت علياء بالغرفة تذاكر جزءا من رسالتها التي اقترب موعدها لتأخذ الدكتوراه .

بعد انتهاء الدوام وقد كانت تهاني مبدلة النفسية الى افضل حال اصطحبتها الى الصالون كما اوصتني أمي وانتظرتها ريثما تنتهي ، اتصلت امي لتخبرني أن ثائر في المنزل وألا نتأخر لنتناول الغداء سوية .
بعد ساعتين وقد انتهت تهاني اخبرتنا احدى العاملات أن أمي قد تركت فستانا لترتديه تهاني فور انتهائها كان في منتهى الجمال والأجمل حقا هي أمي التي جعلت

تهاني تكاد تلمس النجوم من سعادتها عوضتها أمي عن كل ماتفتقده من أهل وحنان وسند بل ورعاية لها ولطفلها أمي حقا جميلة .
كان ثائر ينتظر تهاني كما لو كان ينتظر عروسه ليلة زفافهما فور دخولها قام باحتضانها بشدة وراح يقبل رأسها ويدها طالبا السماح منها متحدثا لها عن شوقه لها وعن خطأه البالغ في حقها وعن معرفته مدى أهميتها لديه واعدا إياها ان جميع القادم بحياتهما لن يكون سوى سعادة وعوضا عن كل ماحدث . -أتمنى أن يصدق حقا -
بعد الغداء اصطحبها وابنها للذهاب كانت هي بغاية سعادتها هي الأخرى . سنفتقدها كثيرا وطفلها لكن جعل الله لها من السعادة حظا وافرا وعوضها عن كل ماحدث لها فاللهم استجب.
ذهب أبي للسلام على اعمامي الذين يسكنون في الحي المجاور ريثما يأتي المساء ودخلت أمي مطبخها لتعد بعض العصائر والحلوى للمساء ...
-ماذا حدث مع ثائر
=حين عدت انا ووالدك كان منتظرا هنا أمام الباب وقد دعاكِ والدك للدخول والحديث معه كان في البداية لا يصدق نفسه وكأنما فتحت له أبواب الجنة ، ثم تحدث والدك أنه لا يجوز له ضربها وإهانتها وإهمالها وخيانتها بهذا الشكل واعترف هو بجميع أخطاؤه واعدا الا يكررها ثم قال له أبوكِ انه يجب عليك أن تجعلها تطمئن لك من جديد وتؤمن لها حياتها فأخبره أنه سيكتب لها شقتهما باسمها كهدية لها لعودتها اليه وأنه سيرعاها ويتقي الله فيها ويقلع عن كل سيء كان يفعله فأخبرته أني سأحادثها وأجعلها تذهب معه اليوم لكن ان حدث منه ماحدث في السابق فلن تعود له أبدا فوافق على ذلك
-الحمد لله أمي.. لكن بشأني أنا ماذا أرتدي
=هههههه اراكي متحمسة آلاء ...سبحان ربي مغير الأحوال
-..(بدا عليّ الخجل)
=لم أقصد إحراجك ... لكني حقا سعيدة الحمد لله الذي ألف قلبك لقلبه
-يبدو شابا خلوقا والأجمل أنه يحبني ...والأجمل أن تخبريني ماذا ارتدي
=هههههه ... والأجمل أن ترتدي الزي الأزرق الذي اشتريناه في المرة الأخيرة وحجابك الملون بألوان زهرية وبعض الكحل البسيط
-حسنا أمي ... أحبك كثيرا وكثيرا والله أمي

في المساء قدم هيثم ووالدته وكان أبي في استقبالهم متحمسا لرؤية ذاك الشاب الذي سيأخذ منه ابنته الوحيدة وتحدثوا كثيرا ويبدو على والدي علامات الاعجاب تجاهه وأمي تتحدث الى والدته بسعادة كنت أنا أراقب الموقف من غرفتي وانا أفتح بابها قليلا لأرى المشهد دون أن يلحظ أحد ، ثم نادتني أمي لأدخل بالعصير ...
=*ماشاء الله ماشاء الله ...آلاء تزداد جمالا في كل مرة ... أهنئك يا ابني على عروستك الجميلة
=تعالي آلاء قدمي العصير لعريسك أولا

-حسنا أبي ... تفضل دكتور هيثم
=هههههه ... انزعي الألقاب بنيتي .. فغدا سنقرأ الفاتحة
=•(قامت أمي بإطلاق الزغاريد للتعبير عن فرحتها بهذا الخبر السعيد)

سمح لنا والدي بالجلوس مع بعضنا قليلا للحديث ...
=كيف حالك آلاء ...ما هذا الجمال
-انا ... انا بخير كيف حالك انت
=حالي سعيد جدا لكونه سيمتلك عروس بهذا الجمال
-...(تنهدت وقد أدرت وجهي تجاه أمي التي تراقبنا من الجهة المقابلة للصالون)
=آلاء هل يمكنني طلب شيء بسيط
-ماذا !؟
=...عمي .. أم آلاء (قام بالنداء عليهما للانتباه لحديثه) اود طرح فكرة بسيطة واتمنى أن تلقى اعجابا لديكم ..
الآن شقتي جاهزة ينقصها لمسات أخيرة ستضيفها العروس .. واعتقد أننا لن نختلف بإذن الله في شيء فلماذا لا نتزوج في خلال شهر مثلا
نظر والدي لأمي ثم تحدث قائلا ...
=^ فكرة جيدة .. آلاء أيضا جميع جهازها جاهز وانتما تملكان من النضج مايكفي لتتزوجا وتقيما بيتا .. انا أوافق ما رأيك آلاء
-(كنت متفاجئة جدا يبدو الأمر شديد السرعة)
=آلاء .. هل لديك اعتراض
-لا أبدا تفاجأت فقط
=اذا على بركة الله .. غدا نقرأ الفاتحة ونبدأ بتجهيز زواجنا .

بالطبع كانت ليلة جميلة جدا على الجميع متأملين أن يأتي الغد سريعا لتصبح الفرحة أكبر وأجمل مع الأهل والأصدقاء . بعد رحيل هيثم ووالدته قامت امي بالاتصال بخالاتي وعماتي لدعوتهن لقراءة الفاتحة وهاتفت انا الأخرى صديقاتي اللاتي تحمسن كثيرا .

في الصباح استيقظت على روائح المحاشي وأصناف الدجاج المختلفة وأصوات خالاتي وعماتي اللاتي اجتمعن منذ الصباح لمساعدة أمي في إعداد الطعام كعادتنا في يوم قراءة الفاتحة فبعد الحفل يتم تقديم العشاء للضيوف والذي يكون دسما جدا فنحن العرب عادة ماتكون احفالاتنا بالطعام أولا . كان اليوم بكل تفاصيله مبهج مع الأغنيات المعهودة بتلك المناسبات وتجمع الأهل الذين أصبحنا لا نراهم بغير التجمعات العائلية ولا سيما الفرحة المتراقصة بعين والدي الذي يتمنى أن يسلم ابنته بيد رجل يحميها ويكون سندا لها بعد أبيها، صديقاتي وصلن كلا منهن ترتدي اجمل زينتها وتهاني التي أصبحت كعصفور يتراقص فرحا فالمرأة حين يسعدها زوجها يظهر ذلك على حيويتها وإشراقتها فها هي اليوم اجمل من أن أصفها وهو يتأملها

بين دقيقة وأخرى كأنما يخاف فقدانها من جديد ، طفلها أيضا يبدو عليه السعادة فكلما رأى أبويه فرحين ينصب ذاك على نفسيته . جميلة كعادتها ترتدي الأحمر وتبدو رائعة الجمال لكن ثمة حزن كبير يلتمع بعينيها فما تمر به صعب جدا ، علياء كعادتها كل مايشغلها اليوم هي مائدة أمي لعلها تحاول اخفاء توترها باقتراب مناقشة رسالتها بالتهام الطعام ، سعاد لا زالت ترتدي الأسود فقد باتت وحيدة حتى الأهل تفرقوا من حولها أصحبت حياتها بائسة تنتظر شخصا يبث بها الحياة من جديد - رزقها الله به -، كانت زينتي أنا الأخرى بسيطة اليوم فقط بعض الكحل وأحمر الشفاه وفستان من التل الأزرق -لوني المفضل- ، أمي تبدو بمنتهى السعادة اليوم تمسك بيد والدي ويضغط هو عليها ليطمئنها أن كل شيء على مايرام وان اختيارها لهيثم كان موفقا جدا فهو يبدو عليه الخلق والحياء بل وجميع أهله كذلك وكل شخص يكون كمثل أهله .
كان الحفل هادئ وجميل وانسجم الجميع وتراقصنا انا وصديقاتي والتقطنا الصور ومضى اليوم على كل خير.
كانت الأيام التالية اكثر صعوبة مما ظننت فتجهيزات الزواج حين يكون بهذه السرعة يجعلنا كما لو كنا نركض هنا وهنا لكيلا ننسى شيئا فأنا وهيثم في كل يوم نذهب بعد انتهاء دوامي الى إحدى المتاجر لإقتناء أثاث منزلنا قطعة قطعة على ذوقنا وأذهب أنا وأمي لترتيبها ووضعها وتساعدني صديقاتي في ترشيح أفضل الأماكن لتقليل الحيرة والتوتر لدي ...
=يبدو عليكِ التعب آلاء
-جدا جدا يا تهاني ، انا وهيثم في كل يوم نذهب لاقتناء شيء ، كانت فكرة سيئة أن نتزوج سريعا ويكون الوقت قليلا هكذا
=هههههه لا عليك سيكون كل شيء بخير ، لم يتبقى سوى أسبوع واحد على الزفاف
-الحمد لله تقريبا انتهينا من كل شيء ، المهم كيف حالك مع ثائر
=الحمد لله أصبحنا أفضل بكثير والفضل كل الفضل لكم
-لا تقولي ذلك مجددا لم نفعل سوى الواجب علينا ، وكيف زين
=بخير هو يذهب الى الروضة ومن ثم يمر عليه ثائر ويأخذه للمنزل ريثما أعود من عملي ، وقد بدأت في إعداد الطعام من الليل وعند عودتي أقوم فقط بطهوه والحمد لله احاول ان أوازن بين العمل والمنزل
-الحمد لله حبيبتي أسعدك الله دائما معه وابعد عنكما مايعكر صفو مزاجكما
=انا واياكِ...(نظرت باتجاه الباب وقد كانت تقف جميلة تستند الى سور الطابق).. جميلة غريبة جدا اليوم
-سأذهب اليها ومن ثم اذهب للإدارة لتقديم إجازتي
=حسنا ... سأكمل عملي الآن

ذهبت الى جميلة التي كانت غارقة في التفكير حتى انها لم تشعر اني اقف الى جانبها ...

-جميلة ...جميلة (قمت برضع يداي على كتفها لتنبيهها)
=ها ..آلاء.. ماذا هناك
-لا شيء حبيبتي ..فقط اطمئن عليك كيف حالك
=بخير ..وانتِ
-الحمد لله .. كيف حال حامد
=..(مدت إليّ بيدها اليمنى وقد خلعت عنها خاتم الخطبة)
-ماهذا ..هل تقصدين أنكما ...
=نعم عزيزتي ... افترقنا
-كيف.. ولمّ... ألم ينسجم والدك مع ام حامد وتبدو الأمور جيدة
=انا لا أتحمل آلاء... تنازل عني حامد حين حدث ماحدث لمجرد أن والدته امرته بذلك ولم يستطع هو الوقوف أمامها واخبارها ان لا ذنب لنا فيما حدث ، وابتعد عني وترك الحزن يأكلني وحدي دون ان يكون بجانبي لذا ان لم يكن معي في شدتي وحزني لا أريده في رخائي
-هل انتِ جادة .. ألن يحزنك قرارك!؟
=صدقيني لا أبدا اعتدت غيابه آلاء اعتدت هجرانه ، لذا ليس لدي استعداد لإدخاله حياتي من جديد لا يستحق البقاء فيها
-وماذا عن والدك
=لا شيء بعد عدة مرات من لقائه مع والدة حامد أخبرني أنه يحاول فعل ذلك فقط لأجلي ولأجل عودتي مع حامد فأخبرته أن حامد نفسه لم يحاول فعل ذلك ولا حتى مهاتفتي وأشعرني أن مابيننا كان مجرد وقت وانتهى مع أول أزمة نمر بها لذا لا أريده بحياتي ، وقد كف والدي حينها عن الحديث اليها وقبل أمس أرسلت اليه هداياه وخاتم الخطبة إيذانا مني بانتهاء ما بيننا للأبد وبالتأكيد سيأتي من يستحق قلبي .
-بالتأكيد حبيبتي بالتأكيد ... إذا دعي عنكِ الحزن وهيا قومي بتجهيز الأحمر من جديد لزفافي هههه دائما تسرقين به الأنظار
=هههه ان شاء الله (قالتها على استحياء)

قمت بتقديم إجازتي وهنأتني المديرة المختصة بزفافي متمنية لي دوام السعادة .
رغم سعادتي بالسلام الداخلي الذي بدأت تشعر به جميلة بعد ان عاشت فترة صعبة جدا من القلق المتواصل بشأن تلك الأزمة التي وضعتها بها أنانية والدتها وتصابيها على حساب ابنتها المسكينة ولكن ربما حدث ذلك لتعلم جميلة معدن حامد الذي تركها عند اول محطة من محطات الإحتياج فلم يكن لها سندا ولا حماية لذا الحمد لله على ماحدث رب الخير لا يأتي إلا بالخير.
سعاد بدت نفسيتها أفضل لكنها الآن تفضل الأسود كثيرا هو سيد الألوان وحين ترتديه تصبح سيدة الجمال زميلنا أحمد اتضح أنه معجب بها منذ عملنا معا لكنه لم يقترب ولم يعبر أبدا كان المراقب البعيد الذي يتأمل حبيبته دون ان يقترب لكنه أخيرا قرر الإعتراف لها بحبه لا أنسى أبدا ردة فعلها وابتسامتها بل وضحكتها التي أطلقتها فرحا بذلك تقول (منذ رأيته وأنا معجبة به جدا كنت أدعو الله أن يرزقني به

عاجلا غير آجلا ولم أكن لأصدق أن يكون هو الآخر يفكر بي الحمد لله الذي ألف بين قلوبنا وجعلنا من نصيب بعضنا)، أحمد شاب محترم جدا لم يرفع مرة عينه بإحدانا هو صديق الطلبة وملتزم جدا بصلاته ويبدو عليه الوقار اتفقا ألا يقيما حفل زفاف وأن يذهبا سويا لآداء العمرة كبداية لحياتهم فمن سيفرح بها في هذه الليلة وليس هناك لا أب ولا أم كما أن أحمد هو الآخر والدته قد توفاها الله منذ زمن ووالده يرجح له كثيرا فكرته ويراها من الصواب . قد يكون أمرهما حدث سريعا لكن سعاد ترى أنه لا داعي أبدا للانتظار فهي تعيش وحدها والعمر يجري بهما وهو الآخر يؤيدها .
علياء وآه من علياء الذي لا يشغلها سوى العلم والوصول لأعلى درجاته لا يشغلها أبدا موضوع الزواج ربما لأنها خذلت من حثالة الرجال وتعتقد أن جميعهم على نفس النهج لا تطمئن أبدا لأحدهم ، ستناقش رسالتها أخيرا في الأسبوع المقبل وأنا متأكدة أنها ستكون في قمة تألقها وستحصل على الدكتوراه بتقدير عالي لتحقق حلمها في السفر خارجا والعمل بإحدى الجامعات الأجنبية .

كنت أسمع دائما أن الأيام التي تسبق الزفاف تمر سريعا ولم أصدق أبدا إلا حين اكتشفت ان اليوم يوم زفافي وها أنا اعد أشيائي الخاصة للذهاب إلى الصالون النسائي ففي المساء سأودع حياة العزوبية وأودع منزل أهلي لأنتقل إلى كنف رجل سيصبح هو كل عالمي ليحفظ لي قلبي بين يديه هيثم بدا كما تمنت تماما في تلك الفترة البسيطة كان رجلا جيدا حتى في عصبيته يحاول ألا يخرج عن شعوره يعلم ماذا يقال ومالا يقال يبتعد ليهدأ ومن ثم يعاتبني بهدوء فنتصافى ، أعتقد أن الأهم في العلاقات هو التصافي بعد الأزمات ألا يبقى آثار غضب وبقايا كلام يلوث القلوب ، أمي رغم فرحتها إلا أنها تبكي كثيرا لفراقي عنها ...
-أرجوكِ أمي إهدئي قليلا ... ألستِ من أراد لي ذلك ! .. لمّ تبكين الآن
=لا أصدق خلو غرفتك منكِ .. سعيدة جدا لزواجك لكن سأبقى بدونك وحيدة
=•لن أتركِ هذه المرة ... لطالما حاولت معكِ أن نسافر معا وتستقرين معي وكنتِ تتحججين بآلاء.. الآن وفور وصولي سأمعد أوراقك لأصطحبك معا
=يا إلهي ولمن نترك آلاء !؟ .. لن أستطيع الابتعاد عن ابنتي
=•هههههه ... ابنتك ستصبح مع زوجها ستكون واصية منه هو ، لا تكوني حماة متسلطة
-اطمئني يا أمي وحاولي التفكير بنفسكِ قليلا أرجوكِ .. سافري مع والدي هو أيضا يحتاجك
=آلاء ... انتبهي جيدا لنفسك راعي الله في زوجك أطيعيه واتقِ الله فيه وفي أهله سيكون عوضا لكِ عن أهلك جميعا هوني عليه الدنيا ولا تعبسي بوجهه وكوني له ملاذا وفرحا يكن لكِ هناء وسعادة
-حسنا يا أمي بإذن الله

تركت أمي بعد عناق طويل وذهبت للصالون وأنا افكر بحديث والدتي وبعد قليل من الساعات وصلت صديقاتي وبدؤوا يهونون عليّ التوتر ويتراقصون حولي ويساعدوني في ارتداء فستان زفافي فبعد قليل سيصل هيثم لاصطحابي الى ذاك المكان الذي حجزناه لأجل التقاط الصور في الطبيعة بدلا من تلك الأماكن المغلقة ومن ثم نذهب الى قاعة الزفاف لنكتب الكتاب أولا لنحيي بعدها حفل الزفاف . كانت الأمور تسير كما نريد والحمد لله ولا زالت أمي تدمع عيناها وهي تقف بجانب والدي الذي يربت على كتفها وتكاد الفرحة تقفز من عينه وهو يراني عروس جميلة بيد رجل يكاد يطير من سعادته وهو ممسك بيدي وقد امتلك قلبي ...
=لمّ ترتعش يداكِ هكذا
-لا أبدا ... فقط خجولة من الجميع فهم ينظرون إليّ بشدة
=تبدين بغاية الجمال .. أحسد نفسي عليكِ
-...(ازداد خجلي كثيرا)..
=ستبدو حياتنا سعيدة وجميلة مثلك تماما آلاء
-بإذن الله

اقتربت بعدها صديقاتي يتهامسن بأذني ببعض العبارات المازحة للتخفيف من توتري ، كان منظرهن مبهج جدا فقد اتفقوا جميعا اليوم على ارتداء الأزرق والتخلي عن ألوانهن المفضلة وقد سعدت جدا لأجل ذلك جميعهن سعيدات جدا وقد استقرت حياتهم ولا سيما جميلة التي تبدو بمنتهى المرح وقد تركت حبها للأبدا بعدما شعرت بعدم استحقاقه لها ، ثائر وتهاني يبدوان أفصل كثيرا الآن وهما يحاولان إسعاد بعضهما والتجاوز عما قد يعكر حياتهما ، سعاد وأحمد يجلسان وبينهما من الانسجام مايجعل من ينظر لهما يسعد كثيرا لأجلهما فقد دعت واستجاب الله لها ، علياء تبدو اليوم هادئة وسعيدة فبعد عدة أيام فستحصل بإذن الله على الدكتوراه لذا تحاول أن تبقى هادئة حتى لا يتملكها التوتر فتفسد على نفسها ماتعبت به كثيرا ، أنا أيضا أبدو بغاية السعادة لأجلهن ولأجل ذاك الرجل الذي يجلس الى جانبي ويشعرني كما لو انه امتلك العالم لطالما تمنيت رجلا كهذا ولم أكن لأتوقع أن يكون كما تمنيت ، من حق كل فتاة أن تتمنى أن تنتظر أن تدعو الله أن يرزقها بمن يداوي قلبها ويحبها كما لو كانت هي الأخرى أمنية تمناها .

قصة : قتلوا طفولتي

أتممت اليوم عامي الثالثة عشر كنت أتمنى لو احتفلوا بي كما أرى على شاشة التلفاز الصغير الموضوع على تلك الطاولة الذي تفضل علينا بها أحد سكان العمارة -التي يحرسها والدي - بعدما أتى لأولاده بشاشة حديثة.
غدا سيكون بداية العام الدراسي الجديد ومن المفترض أن ألتحق بالصف الأول المتوسط فحلمي أن أصبح طبيبة أداوي المرضى ويذخر بي أبي فأنا الإبنة الكبرى

له ولدي أخ يصغرني بثلاث سنوات دائماً ماأذاكر معه دروسه حتى يلتحق هو الآخر بما يتمناه في المستقبل،لكن الى الآن لم تأتي أمي لي بزي المدرسة ولا بحذاء جديد فحذائي القديم قد تلف تماما بعدما أمضى معي قرابة الأربعة أعوام لكن لا بأس بالتأكيد لم تنسى أمي شيئا كهذا أبدا ،بدأت في إعداد حقيبتي المدرسية بقلمين أزرق والآخر أسود ودفتر ريثما أتسلم غدا كتبي المدرسية فبالتأكيد كعادة اليوم الأول في المدارس لا يقوم المعلم بشرح الكثير بل يعطي نبذة عن المنهج حتى يسهل علينا الفهم فيما بعد. قطعت امي استعدادي ونادتني لتخبرني ان أقوم بمساعدتها في مسح سلالم العمارة وحين هممت لأخبرها ان تتريث لأنتهي من تحضير الحقيبة تقدمت إليّ ببعض الخطوات وقد بدا على وجهها علامات الحزن لتخبرني اني لن ألتحق مرة أخرى بالمدرسة لسبب ضيق الحال بدأت في نوبة بكاء وانا أتوسلها ألا يحدث ذلك حتى لو كلف الأمر أن أسأل في كل العمارات المجاورة عن ثوب مستعمل وان ارتدي حذائي الممزق وألا احضر أي دروس إضافية لكن تماسكت دموعها التي انهرت رغما عنها وتظاهرت بعدم الاكتراث وارتفعت نبرة صوتها وهي تخبرني أن ألحقها كي لا نتأخر عن التنظيف .

ها هو حلمي قد انتهى في لمحة بصر فمنذ قليلا كنت في قمة سعادتي لإلتحاقي بمرحلة عمرية جديدة لكن يبدو أن أمثالي ليس من حقهم سوى الحلم ..الحلم فقط.

قمت وقد مسحت دموع قد انهمرت رغما عني وذهبت لمساعدة أمي التي لا تملك بيدها سوى تنفيذ أوامر والدي وإلا أبرحها ضربا لعصيانه .

يبدو أن هدية عيد ميلادي لهذا العام كانت قاسية للغاية فبالطبع لن أنسى تميزها مادامت الروح في جسدي ، حتى محاولة التناسي وعدم الاكتراث صعبة جدا فها هم أبناء الجيران يحملون الأكياس وبداخلها ملابس جديدة لعام جديد ويزجون بالملابس القديمة إلينا ويمرون على السلالم التي مسحناها لتونا فنعاود المسح من جديد دون أي رحمة منهم لأجسادنا المتعبة وأرواحنا المنكسرة ويبدو أنه قد كتب علينا أن نشقى فقط في الحياة الدنيا وأن يعوضنا الله في الآخرة . وبينما نمسح السلالم مرت بنا الأستاذة هبة لتسألني عن حمرة عيناي لترد والدتي بأن لا شيء بها مجرد بعض الغبار الذي مر الى عيناي وأن أساعدها لكن لم تصدق الأستاذة هبة لتكرر السؤال مرة أخرى عن سبب بكائي الواضح فأخبرتها بحقيقة الأمر وبدأت في بكاء مرة أخرى حاولت أن تهدئتي وتقنع أمي لكن الأمر أكبر بكثير منا فوالدي لا يستطيع أحدا ان يحاول التعديل على أوامره

دخلت إلى شقتها وعلامات الحزن تملؤ وجهها الرقيق الملامح وقلبها الحنون دائما معي فكلما رأتني تناولني قطع الحلوى التي يصعب علينا شراؤها فأقتسمها بيني أنا وحسن أخي تقدم لي أيضا الأقلام والدفاتر كمساعدة لطيفة منها لكن يبدو أن هذه المرة لن تستطع مساعدتي كالمعتاد كأبي صارم جدا في قراراته ولا يستطيع أيا منا التأثير عليه .

بعدما أنهينا أنا وأمي وقد حضر والدي وأخي من الخارج بعد غسلهم للسيارات الخاصة بسكان العمارة أعددنا أنا وأمي العشاء المكون من خبز وجبن وفول وبعض شرائح الخيار والطماطم وبدأنا بتناول العشاء ولكني لم أكن على مايرام فقد كان

الحزن يأكل ملامحي ، بدأ أبي بالحديث ليخبر والدتي بصيغة الأمر أن تعلمني الطهي والغسل وكل مايخص شؤون المنزل بالطبع أجابت أمي بالطاعة ثم تجرع أبي كوبا من الماء ونظر إليها في جدية:
-الأستاذ إسماعيل الذي يسكن في العمارة المجاورة سيتزوجها في الأسبوع المقبل شهقت أمي حتى كادت أنفاسها تنقطع فهو رجل متزوج يبلغ من العمر السابعة والأربعين نهرها والدي على الفور وأن ليس من حقها الاعتراض على قراراته فالأمر محتوم وانتهى حاولت مرة أخرى أن تخبره بصغر سني لكنه رد أنه رجل محترم وسيدفع بي الكثير كما أنه سيقوم بدفع أجر شهري لوالدي لأني سأكون خادمة أولا له ولأولاده صرخت أمي باكية وهي تتوسله ألا يفرط بي بهذه الطريقة كما فعل مع أخته في الماضي وتوفيت وهي تلد لصغر جسدها ونحافته لكنه أجاب أنه قضاء وقدر ثم سحب أمي خارج الغرفة وأغلقها وهو يهتف في صوت عالٍ ان من يعترض فسينال نفس العقاب وهو المبيت على السلم .
ياالله في كل يوم تتكشف لنا أنياب والدي ونواياه السيئة وها هو اليوم يبيعني لرجل يكبره هو شخصياً كل مايهمه هو المال أعلم أن الفقر يكاد يقتلنا لكن هناك الكثير مثلنا ولا يفعلون مثل ذلك الذي يريد فعله أبي فهم يكملون دراستهم ويصبحون ذوي شأن في المجتمع ويتزوجن مثلهن مثل غيرهم وهناك من هم أقل منا فالحمد لله أننا نحصل على وجبة العشاء هناك من لا يتحصل على وجبة واحدة في اليوم .فلمّ يأبتي كل ذاك العناء ماأصبحنا نتحمل وما حال أمي خارجا الآن؟ ليست المرة الأولى التي يطردها خارجا لتبيت أمام إحدى الشقق ريثما يطلع الصباح ، وماذا سيفعل بي هذا الرجل حين يمتلكني عبر ورقة زواج عرفي فمن في سني لا يعترف القانون بزواجهم حتى يبلغن الثامنة عشر .
من الواضح أن عيد ميلادي لم يكن سوى إنذار لي ببداية مشقة جديدة لا أعلم عنها سوى أنها بيد أبي الذي من المفترض أن يكون هو السند والأمان .
في اليوم التالي ومنذ بزوغ الفجر استيقظ أبي كعادته فالسكان دائما مايطلبون بعض الخبز الطازج في الصباح كانت والدتي حينها تجلس خارجا وبعينيها نظرة لم أرها من قبل كانت غريبة لم أفهمها ربما نظرة سخط على ماحدث لها وربما عجز على قلة حيلتها وربما نظرة انتقام لم أفهمها حقا .دخلت إلينا فور خروجه وضمتني إليها لتحتويني بأمان بعدما رأت الدموع تملؤ عيني خوفا وألما لأجلها وأني خفت كثيرا أن تكون قد هربت من آثار الظلم والتدمير النفسي كسيدات كثيرات أراهن بالتلفاز لكنها طمأنتني كثيرا حيث أنها لا تستطيع تركنا لجشعه وقسوته ثم أخرجت من خلف ظهرها كيس أسود وأخرجت منه ثوب المدرسة وحذاء فلم تنم الليل الا بعدما سألت هنا وهناك عن ثوب قديم حالته لا بأس بها وحذاء لي وبالفعل وجدت لتخبرني اني سأذهب للمدرسة ..
-أخاف عليك يا أمي فلو علم أبي لن يرحمنا
=لا تقلقي عزيزتي سأحميكي منه ولن يستطيع أن يؤذيكما مادامت الروح تسير بجسدي فأنا فداء لكما.

أمي هي الأعظم والأجمل تضحي من أجلنا بحريتها وكرامتها لأجل أن نحيا كرماء فيما يريد والدي إذلالنا لأجل بعض المال الذي يظنه نجاة لنا من الفقر ، دموع أمي وخوفها المتواري خلف حديثها لم يكن غائبا عني وأبيت الذهاب حتى لا أتسبب لها بالأذى لكنها أصرت كما أقسمت أن تحميني منه أنا وأخي مهما كلفها الأمر.
ارتديت تلك الملابس التي لم تكن جديدة لكن لا بأس بها ستفي بالغرض وحملت حقيبتي وارتديت حذاء جلبته أيضا من إحدى جاراتنا كما قالت ومن المؤكد أنها أستاذة هبة ، فور خروجي من المنزل كان أبي في طريق عودته اختبأت خلف بوابة العمارة حتى صعد السلالم وسمعته يتحدث بصوت عالي إلى أمي ويهددها بستر فضيحتها ان لم تكف على معارضته ولم أفهم أبدا ماذا يقصد لكن ذهبت مسرعة قبل أن يلمحني أمامه التقيت مع زميلاتي اللاتي يتجاهلنني كثيرا كازدراء منهن لي فيأتين ساخرات مني ، لكن لا بأس ففي النهاية دائما آتي بدرجات أعلى منهن وسأصل في النهاية لقمة حلمي مهما كانت العواقب في طريقي .
دق جرس الحصة الأولى وأتت إلينا معلمة اللغة العربية وبدأت في التعرف إلينا، كانت كلا منهن يعمل والدها في وظيفة تفتخر بها وحين أتى الدور عليّ لأعرف بنفسي ارتبكت في البداية ثم تحدثت بكل أريحية فالحمد لله أنه عمل حلال نعيش منه كرماء سخرت مني زميلاتي لتوبخهن المعلمة ثم تثني عليّ وعلى مهنة والدي كجبر خواطر منها لكيلا أحزن.
أكملت الأستاذة تعارفها على باقي الزميلات بعد نقاش هنا وهناك وتعريف ببعض مصطلحات المنهج وتوضيحه بشكل مجمل حتى يتسنى لنا استيعابه فيما بعد ويبدو أنها معلمة لطيفة تمتزج بين الجد والقرب من الطالبات لتتعرف على خفاياهم فأنا أعتقد أنه يجب على المعلم أن يهتم كثيرا بمعرفة خفايا طلابه حتى لا يقع في الخطأ اثر كلمة تجرح أحد الطلاب أو تؤثر عليه بالسلب بل حينما يعرف ظروف كلا منهم يستطيع حينها أن يعزز ثقتهم بأنفسهم بالضغط على مواطن الثقة وتبديد مواطن الضعف .
انتهت الحصة الأولى لتبدأ الحصة الثانية وقد تأخر المعلم قليلا مما جعلنا نتأكد أنه معلم لا يهتم كثيرا بالمواعيد وربما حدث له ظرف ما لكن الانطباع في اليوم الأول هو الذي يدوم للأبد لذا وجب دائما على الأشخاص أن يتقنوا أعمالهم خصوصا للمرة الأولى التي يظل انطباعها راسخا الى الأبد .
حين دخل المعلم كانت الصدمة الأكبر لي فقد كان الأستاذ إسماعيل كدت أموت حينها من الخوف ولم أكن على علم أبدا أنه يعمل بالتدريس وبهذه المدرسة بالتأكيد سيخبر والدي وكيف لمعلم من المفترض أنه ناضج وعلى وعيٍ تام أن يفكر بتلك الطريقة السطحية في الزواج من قاصر أراه ينظر إلي في صرامة ولا أدري لمّ!.
اقترب من مقعدي وسألني عن سبب مجيئي لأرد بكل جرأة:
-جئت لأتعلم كباقي بنات سني
=أخبرني والدك أنك لن تحضري مرة أخرى
-لا لم يحدث ذلك فهو من أتى بي الى هنا وهو من جلب لي هذه الثياب فكيف يمنعني

=عند انتهاء الحصة يجب عليك الحضور الى مكتبي الخاص
-لن أستطيع تضييع الحصص
أشاح بوجهه عني وبدأ في شرح الدرس مع نظراته التي تلاحقني من هنا وهناك بالتأكيد هو إنسان غير سويّ كيف يكون تفكيره بهذه الخسة والوقاحة ولمّ أنا بالتحديد ؟ بالتأكيد لأنه يعلم أن والدي يستطيع بيع الجميع لأجل قرش واحد ولذا فأنا مادمت حية لن أسامح والدي على هذا فالفقر ليس عيبا فالفقراء كثيرون لكن ذوي العفة والعزة لأنفسهم قلة قليلة . مر اليوم الدراسي من حصة لأخرى لفسحة نتناول بها فطورنا ومن ثم باقي الحصص وانتهى اليوم حين عودتي كانت أمي تنتظرني خارجا لتلبسني عباءة حتى لا يعلم والدي بحقيقة الأمر وأخذت حقيبتي واضعة إياها في طبق بلاستيكي كبير ووضعت عليها بعض أكياس الخضار واللوازم التي يطلبها السكان يوميا من السوق ثم حملت الطبق على رأسها على عادة سيدات الريف أسندت الطبق بإحدى يديها وأمسكت بيدي باليد الأخرى وبدأت أسرد لها عن يومي بكل حماس ثم تذكرت ماحدث من الأستاذ إسماعيل وحين أخبرتها شهقت منتفضة حتى كادت تقع ثم أكملنا الطريقة وهي تدعو الله أن يسترها معنا وأن يمضي اليوم على خير . كان حينها الأستاذ جميل قد عاد لتوه من عمله بابتسامته ووجها الصافي المليء بالراحة النفسية وسلم عليّ أنا وأمي وأوصانا بأنفسنا وبزوجته أن ننتبه إليها دوما ثم أعطى لأمي بعض المال وطلب منها أن تحضر لنا بعض الحلوى سألته أمي:
-هل ستسافر قريبا
ذهب ولم يرد على السؤال ويصعد السلالم وهو يذكر الله وينظر الى الأركان والأسقف وكل مايحوطه بات غريبا جدا .بعدها دخلت مسرعة وقد بدلت ملابسي وأخفت أمي حقيبتي وذهبت تسلم للجارات لوازمهن ثم بدأنا في إعداد الغداء وما أن دخل والدي وأتى حسن هو الآخر من مدرسته حتى سمعنا صراخاً في العمارة خرجنا مسرعين لنكتشف أن زوج الأستاذة فاطمة قد توفي دونما أي مرض لديه فقد كان لتوه يتحدث معنا وكأنه يودعنا ،كان آخر مافعله ذكر الله وصدقة ، وصيته كانت لزوجته التي لم يرزقها الله الولد لكنهما كانا يذوبا ببعضهما حباً ولم يفكر أبدا أن يتزوج بأخرى لينجب منها لأنه أحب زوجته عن حق وكان يعلم كل العلم أنه لو كان مكانها لما تركته أبدا . كان دائم الخير والتودد للجميع عطوف علينا رؤوف بحالنا كانت فاجعة حقا .حالت أمي تهدئتها كثيرا وأن آخر حديثه اليها كان عن زوجته يوصينا بها لكن حالتها بدأت تزداد سوءا لتنفجر عويلا وصراخا على زوجها وحين حاول الجيران تهدئتها انفجرت مرة أخرى :
-لا أحد يشعر بي جميعكم ستقدمون العزاء ويذهب كلا الى حاله وكأن شيئا لم يكن أنا فقط من ستقف حياتي ولن يدق جار ولا نفر من الأهل هذا الباب ولن يرن هذا الهاتف كعادته الصماء كان هو أهلي ومالي وعزوتي وعيالي قد فرغ المكان من كل شيء بعده .
كنت أنظر حينها في تعجب كيف هكذا في غمضة عين يغير الله من حال لحال ويقبض روحه دونما مرض به أهذه حسن الخاتمة أن روحه تخرج بسهولة دون

منازعة ووجع وألم . رحمك الله أستاذ جميل بقدر رحمتك لمن حولك وصبر الله زوجتك على فراقك . بدأت أمي برفع السجاد المفروش ووضعت هي ووالدي كراسي العزاء وانخرطت في إعداد القهوة كانت حينها الست فاطمة لا تكف عن الصراخ والعويل وذكر محاسن زوجها وذكرياتها الجمة معه ولم يستطع أحدا إيقافها عن ذلك . طلبت مني أمي حينها أن انزل لغرفتنا أسفل السلم لأضع الطعام لوالدي وأخي وأتناول غدائي ثم أصعد مرة أخرى لمساعدتها . قمت بما أمرتني به أمي وحين هممت بالصعود استوقفني والدي ليسألني :
-أين كنتي في الصباح
=كنت..كنت عند جارتنا أساعدها في تنظيف البيت
-أخبرني أستاذ اسماعيل عن ذهابك للمدرسة ..فكيف تذهبين دون إذني بل وتكذبين الآن أيضا ..
=ارجوكِ يا أبي دعني أذهب للمدرسة وأكون فخرا وذخرا لك مازلت صغيرة على أن اتزوج خاصة رجلا في هذا السن
-ليس من حقك ان تقرري أو تختاري تزوجت أمك في مثل سنك وعقابا على فعلتك ومحاولة التذاكي بالكذب سترين ماذا سأفعل الآن .
وددت حينها لو أقتله فأنا أكرهه كل الكره ليته مات بدلا من الرجل الوقور المحترم لكن كأن الله يترك شرار الخلق على وجه الأرض ويأخذ أرواح الأنقياء . أغلق الباب من الخارج وأخذ أخي حسن وخرج وحبسني داخل الغرفة وذهب .
بالتأكيد أمي الآن منشغلة ولا تدري ماذا حدث لي مسكينة أمي لطوال اليوم وهي بدوامة مابين عملها في العمارة وخدمة البيوت المجاورة وخدمة والدي ومحاولة حمايتنا من أذاه . بعد قليل سمعت صوت والدي ومعه الأستاذ إسماعيل خارجا ... فتح والدي الغرفة وأتى هو ومعه الأستاذ إسماعيل ومعه رجل يرتدي عباءة وطربوش أحمر كلباس المأذون الذي أراه عبر شاشة التلفاز انتفضت من مكاني وحاولت الخروج من الغرفة لكن منعني أبي ،بدأ حينها المأذون بالسؤال عن العروس وحين تم إخباره بأنها أنا اعتقد أنهم يمزحوا وهم بالذهاب حين علم أنها أنا لكنهم حاولوا إقناعه كثيرا ليبدأ بكتب الكتاب ..
دخلت أمها ومعها أخي حسن الذي حين علم بالأمر كان قد صعد اليها ليخبرها بتلك الكارثة ..
-ماذا يحدث هنا وكيف تتجرأ أيها الحقير أن تتزوج بابنتي ذات الثالثة عشر وتتزوج على زوجتك المسكينة وتظلم ابنتي الصغيرة لمجرد أن زوجي المحترم رجل يبيع ابنته بأي سعر

قام الجميع وذهبوا وحاولوا أبي الاعتذار منهم لكنهم ذهبوا ليعود هو موبخا لأمي وهو يبرحها ضربا وينعتها بأبشع الألفاظ مهددا لها بكشف فضيحتها ثم ذهب متوعدا لها بالمزيد من الضرب وأنه سيعود في الليل ومعه مأذون آخر وسيزوجني الليلة .
قامت والدتي تلملم بقايا كرامتها التي أهينت أمامنا لكنه لم يكن بالشيء الجديد بالنسبة إلينا فدائما مايقوم والدي بفعل ذلك لكنه هذه المرة تحدث عن تلك الفضيحة

الخفية أمامنا ترى ماذا يقصد بذلك وماذا فعلت أمي في السابق ليقول لها هذا الكلام اللعين ؟ .
الغريب حقا كان حين قامت أمي وأحضرت حقيبة ووضعت بها بعض ملابسنا نحن الثلاثة مع بعض المال الذي كانت تخبئه من أبي حين يعطيها أحد الجيران صدقة خفية ثم أمرتنا بارتداء ملابسنا لنخرج دون عودة . استفاقت أمي من غفلتها طوال هذه السنين مع رجل أفيونه المال جلبها للخدمة دون رحمة وللضرب والتعذيب والمهانة وتحملت الكثير والكثير رغم أن أمي في الثانية والثلاثين من عمرها فقد تزوجها وهي بعمري وسرق عمرها وطفولتها وكرامتها وكيانها وسامحت وأكملت خوفا علينا من الزمن وغدره لكنه أضحى غادرا لنا وقاسيا أشد قسوة من الزمن تقول أنها فكرت كثيرا في قتله لتريحنا من ذاك العناء البالغ لكن كان خوفها علينا هو المانع لها في كل مرة لكنها الآن قررت قرارا دون تراجع ومضت بنا الى حيث لا تعلم هي الى أين ؟.
هو لن يخطر بباله أبدا أننا ذهبنا لنتركه وحيدا مهمشا لكن لا بأس فهو لن يحزن على فراقنا إنما سيكون حزنه الأكبر على ماكان يتحصله وما سيتحصله من وراء عملنا وخدمتنا في المنازل أنا وأمي .
مضينا حينها في طرقات نجهلها لكن كان اهون بكثير من مجاورة أبي وتركه يميتنا جميعا واحداً تلو الآخر وحين وصلنا لمحطة النقل لم نكن على علم الى أين نذهب فقررت والدتي أن أول حافلة ستتحرك ستكون هي وجهتنا لمصيرنا المجهول ،وقد كانت تلك الحافلة تتجه الى الإسكندرية التي لطالما كان مجرد حلم أن نذهب اليها كما يذهب الناس في عطلتهم الصيفية وها نحن الآن نذهب لنقيم بها حياة جديدة .
كنت أنا وحسن نمضي مع والدتي التي تمسكنا بين يديها وتحمينا من أعين الناس الذين يستنكرون هيئتنا لملابسنا المثقوبة وأحذيتنا الممزقة فقد كان أبي يحرمنا كل شيء ليضع القرش فوق القرش ليحضر لنفسه التبغ والحشيش دونما اكتراث لنا .
أضحت الإسكندرية مقرنا وعملت والدتي بنفس المهنة التي اعتادتها بإحدى العقارات هناك وتعلمت أيضا الحياكة وأصبحت تقسم وقتها بين الخدمة وحياكة بعض المنسوجات لتؤمن لنا حياة كريمة قد حرمنا منها والدي لطوال حياتنا .
وسجلنا بالمدارس من جديد رغم أن الوضع كان صعبا في البداية لوجود أوراقنا في مدارس أخرى لكن تصرفت أمي وأتت بها وقدمت لنا لنكمل أحلامنا وقامت برفع دعوى خلع عليه حتى لا يتسنى له التحكم بنا مرة أخرى وحين وصلته الدعوى لم يهتم أصلا ولم يحضر فتم الحكم لصالح أمي وتحررت منه حينها .
مرت الأعوام عام بعد عام وقد استقرت حياتنا ولم يكلف والدي نفسه السؤال عنا وعن حالنا ، كانت أستاذة هبة تتصل بنا من حين لآخر فهي من ساعدت والدتي بشأن أوراقنا بالمدرسة وهي أيضا من تنتبه لحال الأستاذة فاطمة فقد أضحت بعد رحيل زوجها مقطوعة من النسل والأهل يزورها السكان من وقت لآخر وتأتي هي الأخرى لزيارتنا مع أستاذة مها .
سألت أمي ذات يوم عن سبب اعتراضها للمرة الأولى على أبي بشأن الزواج من رجل يكبرني بكثير رغم أنها تزوجت بنفس الطريقة ..

-أراد أهلي التخلص من عاري
=أي عار ذلك الذي يلحق بك ؟
-لا تسيئي الفهم عزيزتي ..لكن زوج أمي اللعين اغتصبني وأنا صغيرة ولم أستطع اخبار أمي كيلا أفسد عليها حياتها فهو من ينفق عليها وعلى إخوتي واضطررت للكذب حينها وأخبرتها أن شابا ما قام باغتصابه بينما ألعب في الحقل وكان أبوكي جارا لنا وقد توفيت زوجته من زمن ليس ببعيد فعرضت عليه أمي أن يتزوجني وأكون في خدمته وعندما اكتشف أمري منع أهلي عني وارتحلنا من قريتنا الى القاهرة لنعمل في الخدمة
=ياالله أمي عانيتي الكثير جعله الله بميزان حسناتك
-الحمد لله حبيبتي فقد عوضني الله بما وصلتم اليه

كان حسن قد التحق بكلية الهندسة كما كان يحلم لطيلة حياته وانا والحمد لله في السنة الرابعة بكلية الطب بعد مشقة وعناء في سبيل أن أكمل دراستي ،علمنا أن والدي قد تزوج وانشغل في حياته وكأنما كنا بالنسبة اليه مجرد ذكرى عابرة نساها او ربما تناساها ، انا وحسن لم ننسى أبدا مافعله والدي بنا ولم نستطع مسامحته على أذاه لوالدتي وعدم تكليفه حتى السؤال عنا فرغم مرور كل هذه السنوات فلا أنسى أبدا أني ذهبت منذ فترة للسؤال عنه فلم يتعرف عليّ وحين ذكرته بي طردني وأهان والدتي مما جعلني أقسمت ألا أعادوها مرة أخرى سامحك الله ياأبي وأعانك على حساب الآخرة بما فعلته بنا في دنياك .
أمي التي عانت وتحملت كثيرا منذ قتلوا طفرلتها وبراءتها وهي لازالت طفلة لكنها لأجلنا فعلت الكثير والأكثر حتى أصبحنا ووصلنا لما نحن به الآن .
الأم هي السبب بعد الله في كل مانصل اليه من حياتنا ربما لا ندري أيا مما حدث معها ولا تحملها لطوال سنين كثيرة لكنها تستحق منا الكثير ولو قدمنا اليها كل مانملك ماوافيناها حقها حيث حرمت نفسها من الملذات لأجلنا ومن الحرية لأجلنا وحتى الكرامة كانت تتخلى عنها أحيانا لنحيا نحن كرماء .

قصة : ذات القبعة السوداء

لم تكن تلك الشرفة مجرد شرفة صغيرة مقابلة لغرفتي بل كانت مصدر لإلهامي وشغفي دائما ، ففي كل صباح تفوح منها رائحة المبخر وترى تلك الزهور التي ترتكز عليها جميلة الرونق لاشك وأن صاحبتها مثلها تماما ، لكن أين هي !؟لم يسبق لي أن رأيتها من قبل ! كما أن هذا البيت لم يحدث قط أن رأيت فتاة تخرج

منه ومن المستحيل أيضا أن تكون الغرفة لشاب الا لو كان ! لا لا مستحيل ماهذا التفكير من المؤكد أنها فتاة ولازلت بانتظار ظهورها .
أنا شاب في مقتبل العشرينيات لازلت في عامي الثاني بعد رسوبي مرتين لصعوبة كلية الطب...
=وسيم ... وسيم ..هيا انهض من فراشك .. هيثم بانتظارك خارجا ..
-حسنا ... حسنا أمي
=...(نظرت باتجاه الشرفة) وسيم ألم اخبرك من قبل أن تغلق الشرفة لكيلا تصاب بالزكام (قامت بإغلاقها)

أمي صارمة لكني لست ضعيف الشخصية أمامها لكن أحاول احترام وتقدير خوفها عليّ .
=وسيم ...لمّ تحدق بي هكذا ..هيا انهض ..كفاك برودا .. كأبيك تماما
-هههههه أفي كل شيء تقولين أبي
=نعم ... هل يضرك في شيء .. ان كان يضرك اذهب عنده انت الآخر كما ذهب خالد (أخي الأكبر)
-أمي .. تعلمين جيدا أن خالد ذهب معه بسبب عمله مع أبي في شركته ولو تمرد عليه لما تحصل على وظيفة مرموقة مثل الذي يعمل بها مع أبي
=أراك تلتمس له أعذار عن عدم سؤاله عني إلا في العام مرة .. يبدو أنك ستلحق به يوما
-...(اقتربت منها محاولا مواساتها) لا أمي لن أفعل لن اتركك أبدا
=سيحاول التأثير عليك بالمال يا وسيم ...
-قد تكون حياتنا ليست كمثل قبل لكن الحمد لله نحن أفضل بكثير ... ويكفي أن أكون مع أقوى امرأة.

أمي قوية جدا تحملت مالا يطيق شخصا تحمله فقد كانت في كل مرة تأتي من عملها تجد أبي يخونها مع امرأة ما أو مع الخادمة أو المربية وكعادة اغلب النساء يسامحن لتستمر الحياة الزوجية على أمل أن يتغير يوما ما ، أخبرتني أمي أنه رغم كل ذلك فقد دخل والدي ذات يوم وبيده امرأة وقد تزوج بها ، بالتأكيد هذا مالم تتحمله أمي وطلبت الطلاق وتركت كل الثراء مع أبي وجئنا إلى هذا الحي منذ كنت صغيرا وأصبح راتبها هو أساس هذا البيت وقد رفضت تماما أي مال من أبي حتى وان كان لأجلي . خالد اخي كمثل أبي لا يهمه سوى المال هو أناني للغاية لذا بقي معه في ثرائه ولم يكلف نفسه حتى السؤال عنا من وقت لآخر بل يأتي مرة في كل عام كنوع من عدم تأنيب الضمير وكأنه هكذا قد فعل ماعليه.

خرجت للقاء صديقي هيثم الذي يبدو أنه انتظرني كثيرا على غير عادته ثم رافقته إلى أسفل حيث نجلس على القهوة المجاورة ...
=وسيم .. انا بمشكلة كبيرة

-ماذا حدث
=تهاني
-ماذا بها
=تريدني أن أتقدم لخطبتها هذه الفترة
-وما المشكلة ! .. أليست هذه تهاني التي حاولت كثيرا أن تصل لها
=كان ذلك سابقا .. لكن الآن لا أريدها ..
-لمّ
=وسيم .. انا حقا خجول مما فعلت لكن حدث ذلك بغير قصد مني
-لا أفهم ! ماذا تقصد
=أتذكر في الأسبوع الماضي حين سافرت أمي وأختي إلى الأهل الريف
-نعم اذكر
=حينها طلبت من تهاني ان تأتي إليّ بالمنزل لنجلس سوية بعيدا عن الإزعاج... لا أدري لمّ فعلت ذلك ولمّ وافقت هي على ذلك لكن حدث مالم يكن بحسباني
-يالله... ماهذه المصيبة ... كيف تفعل ذلك هيثم ... استأمنتك على نفسها ووضعت ثقتها بك لتفعل بها هكذا في النهاية ! ماذا جرى لك .. وكيف تقدمان على الحرام .. لا أصدق أنك هيثم لا أصدق
=وسيم أرجوك يكفي ماانا به من الذنب ...
-ذنب!؟ ... ماعليك الآن إلا الزواج بها .. قد أضعت الفتاة
=أنا لم أجبرها على ذلك وسيم ... كان بموافقتها ... وكمثل هذه الفتاة لا أستطيع الارتباط بها .. لا أثق بها أبدا
-هيثم ... كن رجلا ولا تتركها..
=وسيم أرجوك لا تضغط عليّ جئتك لأبث إليك ماأحمله من ضيق فلا تجعلني أندم
-..يا أخي أنت تعلم أني أحبك لذا لا اريد أن تقع في خطأ أكبر ومصائب أكبر فهذه الفتاة ماذنبها .. وانا أعلم وانت تعلم أنها ليست المرة الأولى التي تفعل بها فعلتك هذه لكن هن أيضا كانو مثلك لم يهمهن ماحدث فقد كانو يحدثنه مع غيرك ... لكن تهاني ... فتاه مسكينة من أسرة مرموقة وعلى أخلاق عالية وما فعلته كان بدافع ثقتها وحبها لذا لا تجني على نفسك بتركها فيتدخل أهلها ويحدث مالا تحمد عواقبه
=مستحيل يا وسيم ... لن تستطيع اخبار أهلها لو أخبرتهم لقتلوها

حاول بعدها هيثم أن يبدل مسار حديثنا متداعيا بعدم أهمية الموضوع رغم أن داخله يكاد يموت ذعرا فهو يعلم أن ماحدث لن يمر على خير ، بعدها سمعنا صراخا في العمارة المقابلة لبيتنا وذهب الجميع ليحاولوا فض المشكلة كانت بين رجلين ..ماهذا ان صوت احدهم رقيقا قليلا .. انها فتاه ..ليست رجلا ، ماهذا ان كانت فتاه فلمّ ترتدي هذا اللباس المشبه بالرجال حتى أن حذائها حذاء رجالي وترتدي قبعة بشكل دائم فلا يشك أي شخص أنها فتاة بل شاب وشاب قوي أيضا . إذا انها صاحبة الشرفة المقابلة ! كيف تكون بهذه القوة والحدة والغلظة خارجا وبتلك الهشاشة التي

تجعلها تروي زهورها وتهتم بما يخصها كما الفتيات ! ثمة تضاد غريب في شخصيتها ومن المؤكد أن خلفه سر كبير.
لم يتدخل أحد لفض تلك المشكلة فحاولت التدخل أنا ...
=ماذا يحدث فلنهدأ ياشباب ...(تحدثت كما لو انها ذكر)
-...(نظرت هي اليّ بشيء من الغرابة)... لا تتدخل ..وابتعد من هنا ... بيننا تصفية حساب وليس لأحد التدخل
=تفضلوا إذا بالجلوس على تلك القهوة وتكلما بهدوء
-لكنه شاب حقير حاول لمسي بطريقة بشعة ويجب أن ألقنه درسا كي لا يفعلها مع أخرى ..
=أَنتِ فتاة !؟ ...إذا فلماذا ترتدين هكذا كما الرجال
-لا علاقة لك
ثم تحدث الشاب الذي تتعارك معه ...
=*والله يا أخي لم أعلم أنها أنثى ولامست كتفها على اعتبارها رجل لأطلب منه المساعدة في حمل حقائبي فأنا ساكن جديد في هذا البيت ..وفوجئت أنها فتاة وحدث كل ذلك

بعدها حاول الجميع المصالحة بينهم وتوضيح سوء الفهم الذي لم تفهمه هي سريعا يبدو أنها لا تصدق سوى نفسها أو لربما هي لا تثق بأحد ، قمت أنا وهيثم بمساعدة الشاب في حمل الحقائب واختفت هي فجأة من بين جميع الحضور .
كان قد اقترب وقت صلاة الجمعة فعدت للمنزل وتجهزت للصلاة وذهبت وقد كان أحد أصدقائي يجلس بجانبي في الصلاة وبعد انتهائنا تحدثنا كثيرا عن الدراسة واقتراب الإختبارات ،الجدير بالذكر أن صديقي هذا يقطن في نفس العمارة التي تسكنها تلك الفتاة غريبة الأطوار ....
-معاذ.. وددت لو سألتك عن تلك الفتاة الغريبة التي تسكن بعمارتك
=أي فتاة ...
-التي ترتدي ملابس الرجال دائما
=لا أعلم عنها سوى أنها تقطن مع جدتها القعيدة ووالدتها الكفيفة
-ولم تلبس هكذا !؟
=لا أدري ... فهم في حالهم ولا علاقة لهم بأحد .. كما أنهم ليسو من سكان المنطقة هم غرباء جاؤوا قبل عامين أو ثلاث وقد كانو دائمي الصد للجيران ممن يحاول التعرف عليهم لذا لم يقترب أحدا لعل وراءهم مصيبة ما ويفضلن التخفي هكذا .
-اممم.. لدي فضول عظيم لمعرفتها .. رغم أني لم أستطع رؤية ملامحها فتلك النظارات الشمسية التي تأكل نصف وجهها والقبعة التي ترتديها والمعطف الأسود ... هي غريبة جدا ومختلفة
=فلتتركها وشأنها تبدو متعجرفة لا تنظر لأحد ولا ترد على أحد
-لا عليك ... ما أخبار المراجعة معك

وأكملنا الطريق نحو بيوتنا في الحديث عن المذاكرة ، وكعادة هيثم لم يأتي للصلاة تلهيه الدنيا دائما ولا ينتبه له أبواه أبدا قد يكونا سببا كبيرا لكل مايحدث معه وتلك الأخطاء التي يقع به فهم يتعاملون معه كما لو أنهم مجرد محفظة يدفعون إليه بالمال وكأنهم كذلك يؤدون ماعليهم من حقوق تجاه هيثم لذا فهو لا يهابهم أو يخافهم أبدا فيفعل مايحلو له .
حين وصلت للبيت كان الباب مفتوحا يبدو أن هناك شخصا ما في ضيافتنا ...
=وسيم .... أين أنت يا رجل .. ساعة وأنا أنتظرك
-..أهلا خالد ... كنت أصلي ...ألم تصلي!؟
=سأصلي لاحقا
-وهل تنتظرك الصلاة !؟ ... هداك الله
=لا زلت مناكف كعادتك
-وأنت أيضا لم تتغير ... تلهيك الدنيا كعادتك

قدمت أمي ووضعت العصير على الطاولة ولم تتفوه بكلمة فقلبها يعتصر حزنا حيال قسوة وجفوة خالد الذي لم يزرنا منذ اكثر من سنة ...
=مابك أمي !؟
=*لا شيء خالد ... تفضل العصير
=سلمت يداكِ ... لكنِ لن أستطع أن أجلس لأكثر من ذلك .. قدمت لدعوتكم على حفل خطوبتي يوم الخميس المقبل في قاعة كريستال في المنطقة الفلانية
-هه....جئت لدعوة أمك على خطوبتك!؟...
=نعم .. مالمشكلة
-هل نحن غرباء إلى هذا الحد يا خالد.. نحن مجرد مدعوين !؟
=..(نظر إلى أمي) ..أنتِ اخترتي هذا يا أمي .. وحليمة امرأة طي....
لم يكمل كلمته حتى صرخت أمي فجأة ...
=*لا تنطق اسمها هنا يا عديم النخوة واخرج من هنا حالا وأنسى أن لك أم كما نسيتني دائما اخرج ...(وبدأت في البكاء بصوت عالٍ)

خرج هو وأغلق الباب بشدة وذهب سريعا بسيارته الفاهرة من منطقتنا المتواضعة .
كانت أمي في قمة إنهيارها وذهبت إلى غرفتها وأغلقتها ككل سنة يأتي ويقلب عليها ذكرى الوجع والقهر والخيانة ، فتنعزل كي لا أرى انهيارها لكن ألا زالت أمي تحبه بعد كل الذي كان !؟
فالمرأة لا تظل في انهيار هكذا دون استفاقة إلا لو كانت تحب خاذلها بشدة ! ألم تستفق بعد من صفعته ! ألا زالت الذكري توجعها وتذكرها بحياتها ؟ أم أنه مجرد وجع لغدره بها ؟ بالفعل لا زالت تحبه فتلك التي تتحمل كل سنوات الوجع والخيانة معه وتسامحه في كل مرة لحبها له لن تكره أبدا فكل مافي الأمر أن مخزون التسامح لديها نفذ مخزون احترامها له نفذ لكن لم ينفذ حبها بعد لذا قررت حينها

الرحيل حتى لا ينفذ هذا الحب. وجعها أيضا حيال أخي هو الأكثر فهو لا يعترف بوجودها الا رسميا فقط كمثل دعوتها إلى خطبته بل أنه اصطحب زوجة أبي تلك المرأة اللعوب لأهل خطيبته متباهيا بمظهرها أمام من هم مثله في المستوى هو يعتقد أن أمي تسبب له الحرج أمامهم لبساطة مظهرها وظهور تلك التجاعيد التي ملأت وجهها من الهم رغم أنها لم تقبل بعد على الخمسين.
لم أحاول ان أدخل لها أو أطرق بابها الأفضل دائما في هذه الحالة هو ترك الشخص يخرج كل أحزانه بدلا من كتمانها فكتمان الحزن يحزن القلب حتى يموت .
ذهبت لغرفتي لأبدأ مذاكرتي فطالب الطب ان لم يذاكر ليلا ونهارا فلن يتخطى سنوات الدراسة بسهولة فلأرواح البشر سعر غالي من السهر والتفاني في الإخلاص يبدأ من المذاكرة بضمير للنجاح عن استحقاق ، رغم كل ماحدث لكن لم يغب عن بالي ماعلمته تجاه تلك الفتاة ترى إلى أين تذهب وتجيء في كل يوم ! ماحكايتها وأين بقية الأهل !؟ هل صدقا خلفها مصيبة كما قال معاذ أم أن الأمر مجرد صدفة !
.
عند ذهابي إلى الجامعة في صباح اليوم التالي وجدتها تجلس في الكرسي المقابل لي في الحافلة كانت تجلس بجوارها طفلة في الثالثة تقريبا من عمرها تنظر إليها بشده لعلها على غرابة شكلها قامت الفتاة بمداعبتها وملاطفتها وتبدو العاطفة لديها كبيرة كنت أنظر إلى الموقف من خلف نظارتي الشمسية السوداء حتى لا تنتبه لي وفجأة قامت الصغيرة باختطاف القبعة في حركة سريعة أدت لسقوط النظارة أيضا ليظهر وجهها الملائكي وشعرها الأسود كما الليل في حلكته كانت جميلة إلى الحد الذي يجعلك تشهق عند رؤيتها . لكن هذا الأمر أثار غضبها بشدة خاصة أن الجميع راح ينظر إليها بشدة فارتدت القبعة والنظارة سريعا ونزلت من الحافلة لتواري خجلها وغضبها فيما كانت الطفلة قد بدأت بالبكاء لأنها تريد القبعة .
كنت أود لو لحقت بها لأتتبعها وأعرف حكايتها فقد صار الفضول يقتلني والأدهى أن جمالها جعلني أود التقرب أكثر فلم يسبق قط أن سحرتني فتاة ! ربما لا تكون جميلة إلى الحد الذي أصفه لكن كل عين ترى من وجهة نظرها وربما كانت عيني عين عاشق فصارت الفتاة بنظره أجمل النساء ؟
لكن الإختبار الذي ينتظرني بالجامعة أعتقد أنه يلزمني أن استفيق من كل هذا وأبدأ في مراجعة بعض المذاكرة ريثما أصل .
بعد الاختبار كان هاتفي الموضوع على خاصية الصامت به عشر مكالمات فائتة من أمي ، انتفض قلبي حينها فلم يسبق أن فعلت أمي ذلك في وقت إختبار لي وهي على علم !... اتصلت بها ..
-أمي ... ماذا هناك ..
=عفوا ... وجدت هذا الهاتف منذ قليل في ممر المشفى ووجدت رقمك بإسم ابني.. لذا اتصلت لأعيد إليك الهاتف
-مشفى !؟ ..أي مشفى من بعد إذنك

أخبرني بإسم المشفى وذهبت سريعا إلى هناك فيبدو أن والدتي حدث لها مكروه ما واضطرت للذهاب وهناك ضاع هاتفها ، حين وصلت كان الرجل ينتظرني أمام المشفى فاصطحبته ودخلت أبحث عن اسمها في سجلات المشفى اليوم لأعلم سبب مجيئها لكن للأسف لم أجد اسمها ربما جاءت لعيادة مريض لا أكثر .
على أي حال شكرت الرجل كثيرا وتحدثت معه واعطيته بعض المال اهداءً لأمانته .
ذهبت للمنزل وقد كانت أمي بانتظاري وقد حضرت لي طاجن من ورق العنب والدجاج المشوي ...
=أهلا أهلا .. كيف كان الإختبار
-جيد الحمد لله .. وأنتِ كيف كان يومك
=لا جديد فعادتي كل جمعة وسبت (يومي العطلة الرسمية في وزارة التربية والتعليم) ..الجلوس في البيت وتحضير المأكولات الدسمة لفراغ الوقت لديّ و...
-أمي لا تحاولي مواراة الأمر عني علمت أنكِ كنتِ بالمشفى وقد وقع منك الهاتف أيضا ها هو ... ماذا حدث
=..ها ... لا شيء ... انا بخير مجرد صداع وبعض الغثيان لكن أصبحت بخير .. لا تقلق عزيزي ..هيا سأحضر الغداء
-لا أمي ... سأنام قليلا فأنا لم أنم منذ البارحة بسبب المذاكرة .
=حسنا بنيّ ... سأنتظرك حتى تصحو لنأكل سوية

ساورني القلق بشأن أمي فيبدو أنها مريضة وتحاول مواراة الأمر عني يالله لا ترني بها بأس فليس لي سواها .
حين دخولي للغرفة كان أول مافعلت هو فتح الشرفة لعل تلك الجميلة تقف هي الأخرى بشرفتها لكن لم يحدث أبدا.
بعد المغرب اتصل بي هيثم وقد كان بانتظاري في القهوة كعادته وذهبت لألتقيه قليلا وأصلي العشاء ومن ثم اعود لبدء معركة المذاكرة من جديد ...
-مابك اليوم .. تبدو مرتبكا وغير مرتاح أبدا
=يبدو أن الأمور ستزداد تعقيدا
-في ماذا ؟!
=حيال تلك الغبية التي أخطأت معي
-يبدو تعبيرك غريب ... ألم تخطئ أنت أيضا !؟
=لا لم أخطئ وهل يلام الرجال على أي فعلة يا رجل .. هي التي ستدفع ثمن ذلك وحدها
-رغم غرابة ماتقوله لكن لا أريد الدخول معك في مناقشة لن ترد لي سوى المتاعب .. إذا فلماذا أنت قلق
=بعدما قمت بحظرها من جميع وسائل الاتصال بيننا أرسلت اليوم اليّ صديقتها رسالة تخبرني أن تهاني ستخبر أمها بالأمر

-هيثم ... فلتقف موقف الرجال ... حاول حل الأمور هي فتاة طيبة وتحبك ولولا ذلك لما فعلت
=اعتقد أنه مجرد تهديد ... يمكنها أن تذهب لإحدى طبيبات النساء وستحل المشكلة
-سأذهب أنا للمسجد ريثما تبدأ صلاة العشاء (استيائي من حديثه بهذه الطريقة جعلني انسحب من الجلسة دون الدخول معه في نقاشات)

ربتني أمي تربية سليمة وعلمتني الدين جيدا ، رغم أن زملائي دائما مايتعاملوا معي على أني تربية امرأة ولا قرار لي وليس لدي تجارب ولا ادخن مثلهم ولا أتحدث بتلك الألفاظ البشعة لذا هم يعتقدون أني ابن أمي ، لكن والله لم يكن الأمر كذلك أبدا فأنا أخشى الله قبل كل شيء لا أريد فعل الحرام ولا البغيض فيعاقبني الله في أحب ماأملك وهي أمي، وبري بها وامتثالي لأمرها في الصحيح هو لأني لم أجد سواها بجانبي لم أتكئ سوى عليها لم يقف خلفي سواها فنت عمرها لأجلي أليس من حقها أن أكون بارا وذا خلق ودين تذخر به أمام العالم لتريهم نبتتها التي إهتمت بها وحدها . أما عن هيثم فأفضل أن أتخلى عن صداقته فتفكير كهذا منه جعلني اندم حقا على صداقته.
حين وصولي للمنزل كانت هي في طريقها للصعود إلى عمارتها كانت تحمل أكياسا كثيرا يبدو أنه مخزون البيت ذهبت لمساعدتها ...
-يمكنني مساعدتك وحمل بعض الأكياس عنكِ
=شكرا ... لا أريد (لم تحاول النظر إليّ بل اكتفت بالذهاب سريعا)
استوقفها حينها صاحب العمارة مطالباً إياها بدفع الإيجار المتأخر.. وقفت بجانب الباب أسمع الحديث بينهما لعل فيه بعضاً من حكايتها ...
-يا حاج أحمد ... صدقني فور توفر المال لدي سأدفع لك سريعا
=وماذا تحملين الآن .. أليست مشتريات اشتريتها مقابل المال ! أم طلبتي من صاحبها الانتظار أيضا (كان يتحدث بسخرية) ... ألا يكفي هيئتك تلك التي تجعل الجميع يتحدث عنكِ وكأنكِ شاذة ... لا خير يأتيني من ورائك
-...(لم أسمع صوتها حينها ربما لا حيلة لها)
=أمامك أسبوع واحد فقط إن لم تدفعي المتأخر وتدفعي مقدم أيضا فليس لكِ مكان عندي (وتركها وذهب)

وضعت حينها الأكياس بجانب الدرج وجلست في انهيار لعلها تفرغ غضبها قبل الوصول لجدتها المسكين حتى لا تلحظ مابها ، أوجعني قلبي عليها كثيرا ووجدت نفسي قد دخلت من باب العمارة ووقفت أمامها ...
-متأسف قد سمعت ماحدث بغير قصد
=...(لم ترد وبقيت على وضعها)
-هل يمكنني مساعدتك بأي شيء ... يمكنني اخبار والدتي ويمكنها اعارتك بعض المال ريثما تتحسن الحال ..
=من فضلك اتركني واذهب ...

-سامحيني لن أتركك هذه المرة ... من الواضح أنكِ بمفردك ولا أستطيع منع نفسي عنكِ
=ماذا ... ماذا تقصد ياحقير (انتفضت من مكانها غضبا ربما فهمت حديثي بشكل خاطئ أو أنني أخطأت التعبير)
-ما هذا يا آنسة ... أقصد ان أساعدك لا أكثر ...
=قلت شكرا لا أريد ... (ونظرت لي باحتقار وصعدت إلى أعلى مسرعة بعدما حملت الأكياس)

لا أدري هل أسأت إليها بتدخلي أم أساءت هي فهمي أم ماذا ؟ على أية حال لا داعي للتدخل مرة أخرى ...
=وسيم ! ... ماذا تفعل هنا (كان معاذ والذي يسكن نفس العمارة قد نزل لتوه)
-ها .. معاذ... لا شيء ..كنت في طريقي إليك
=أهلا أهلا ... تفضل يا رجل تفضل ..

قدمت لنا والدته العصير مع بعض الحلوى وهمت بالدخول إلى المطبخ لكنِ استوقفتها...
-خالتي ... اود اخبارك عن شيء
=ماذا هناك وسيم .. هل والدتك بخير
-الحمد لله ... ولكن حديثي عن جيرانكم تلك الفتاة وجدتها
=ماذا بهم !؟
-سمعت صاحب العمارة منذ قليل يود طردهم لتأخرهم بدفع الإيجار... حاولت التدخل لكنها لم تقبل مساعدتي
=اممم ..حسنا سأحاول التدخل دون إزعاجهم .

مضت الأيام بعدها سريعا وانشغلت أنا باختباراتي وانتهيت منها وبدأت في البحث عن وظيفة للعمل في الصيف بدلا من الجلوس بالبيت وتخفيف بعض الأحمال عن أمي ، لطوال تلك الفترة كنت أراقبها من خلف شرفتي ليلا أراها في الصباح وهي تركب نفس الحافلة وقد بدأت هي الأخرى تبادلني بنفس النظرات لكن لم تسنح لي الفرصة أبدا أن أراقبها لأعلم خباياها ووجهتها ! لكن ماأشعرني بالارتياح قليلا هو كون وجودها بالعمارة يدل على قبولها المساعدة من والدة معاذ واستقرارها بعض الشيء بل وأخبرني معاذ أنها باتت تزورهم من وقت لآخر لكنها كتومة جدا تتحدث بمقدار وحساب مما أكد لهم أن خلفها سر عظيم .
صباح يوم السبت لم أستطع النهوض من فراشي وأذهب للعمل ...
=وسيم ... وسيم ألم تستيقظ بعد ... هيا انهض حتى لا تتأخر
-...(حاولت الحديث بصعوبة للرد عليها) لن أستطيع الذهاب اليوم
=لمّ .. مابك بنيّ
-اشعر وكأني عظامي مكسرة

=سلامتك يا حبيبي ... حسنا سأجلب لك دواء وشراب ساخن

قدمته لي وأغلقت الباب وأخبرتني أنها ستنشغل بطبخاتها لإعدادها كالعادة في يومي إجازتها لتخفف عن نفسها الحمل لباقي الأسبوع ، نمت قليلا واستيقظت على صراخ مفاجئ يأتي من عمارة معاذ ويبدو هناك حريق .خرجت مسرعا من غرفتي رغم مابي من تعب ولم تكن أمي متواجدة .
كان الشارع يكتظ بالناس وبسيارات المطافي والشرطة والإسعاف والدة معاذ أصابها بعض الإختناق لكن بفضل الله تم اسعافها وانقاذ جميع السكان الذين أعرفهم كنت أبحث وسط الوجوه عن وجهين لا أعرفهما جدة الفتاة وامها فالفتاة كعادتها في هذا الوقت غير موجودة لكن لم أجد كان جميع المصابين من سكان العمارة الذين أعرفهم...
-لو سمحت ... الدور الثالث به شقة يسكنها امرأتان..بالله عليكم قوموا بإنقاذهم
= لا أحد هناك سيدي ... قمنا بإخلاء العمارة كلها وليس هناك أحد
-كيف ذلك.. بالتأكيد أنت مخطئ .. يوجد بها امرأة كفيفة والأخرى قعيدة
=صدقني دخل رجالنا (يقصد رجال الإطفاء) إلى داخل جميع الشقق لانقاذ من بها وتم اخلاء العمارة وهذه الشقة تحديدا لم نجد بها أحد

كان حديثه صادما بالنسبة لي فإما أن الفتاة تركت العمارة وإما أنها كاذبة !
قاموا بعدها بنقل الحالات إلى المشفى ولا سيما والدة معاذ الذي صاحبها ابنها وذهبوا بعدها صعدت أنا ودخلت لغرفتي مستلقيا على سريري ويكاد عقلي ينفجر !
ماذا يحدث ؟ فكلما تمكنت من معرفة هذه الفتاة كلما ازددت تساؤلا واستفهاما عنها !
ويبدو أني من الشرود بها نمت دون شعور مني .
أيقظتني أمي تطلب مني النهوض لتناول الغداء فقد انتهت لتوها ...
=ها .. ما رأيك .. أعلم أنك لا تحب حساء الخضار لكن أضفت اليه بعض البهارات لتبدو أفضل
-اممم .. جميلة .. هل والدة معاذ بخير
=لا أعلم .. أنت تقصد لأجل ماحدث بعمارتهم .. بالتأكيد يبدو الجميع بخير .. لم استطع النزول حينها كنت منشغلة جدا بالمطبخ وخفت على احتراق الطعام.
-...(انتفض قلبي)... ألم تخرجي اليوم
=أين أخرج يا بني.. وكيف أتركك مريضا ..

أمي تكذب ! أنا متأكد أني لم أجدها وقد بحثت عنها بعيني في الشارع ولم أجدها بين الجيران الذين كانوا يتفقدون الأمر ، كما أنها ان كانت موجودة فبالتأكيد كانت ستلاحظ أني خرجت وعدت ! فلمّ تكذب .
لم أخبرها بشأن ذلك وتركت لنفسي مهمة اكتشاف ماذا يحدث ان تكرر هذا الأمر .
كنت حينها قد تحسنت قليلا ويبدو أن الأمر كان يحتاج لبعض الراحة لا أكثر بسبب انهماكي في أعمال المخزن الذي أعمل به حيث أحمل الكثير من البضائع وأقوم

برصها وهذا ماآلم جسدي وظهري تحديدا ، خرجت حينها من المنزل لأجلس قليلا على القهوة وأنتظر هل ستعود الفتاة أم لا .
الغريب أن هيثم لم يكن بالمكان رغم اعتياده الدائم عليه حتى أني سألت صبي القهوة فأخبرني أنه لم يأتي منذ مدة ، أعلم أنه مخطئ وتفكيره غير سليم وهذا ماجعلني ابتعد عنه لكن شأن اختفائه وعدم اتصاله بي يقلقني جدا بعد أقل من ساعة كانت الفتاة عائدة من حيث تذهب ! ، وقد أصابها الذعر فور رؤيتها للعمارة المحترقة ووقفت مصدومة ، كنت أراقبها من مكاني ثم قررت المثول أمامها...
=ماذا حدث ..(قالتها بصوت خائف يكاد ينهار)
-كما ترين احترقت العمارة وأغلب السكان بالمشفى ... حتى والدتك وجدتك
=..(نظرت مفزوعة ثم راحت تنظر في اتجاه آخر خجلا من كشف كذبتها التي ادعتها منذ جاءت إلى هنا)..
-لمّ كذبتِ!؟
=...(لم ترد ويبدو أن صدمتها أكبر من أن تصفها)
-هل تفكرين بكذبة جديدة !؟
=من فضلك... بداخلي من الهم والدمار مايكفي .. فابتعد عني ... وها أنا راحلة من هنا ولن ترني مجددا
-لن اتركك حتى أفهم من أنتِ؟ ولمّ تكذبين وتختلقين اناسا !؟ وأين تذهبين كل يوم ! ولمّ ترتدين هكذا ؟
=من فضلك لا تتدخل فيمّ لا يعنيك
-من فضلكِ أنتِ لا تتحدثي هكذا واعلمي انكِ لن ترحلي من هنا حتى تجيبيني وإلا اتهمتك انك سبب ماحدث للعمارة انتقاما منك لصاحبها الذي يضايقك دائما وأنك الوحيدة التي لم تكوني هنا !
=...(رفعت نظارتها عن وجهها ثم نظرت اليّ بنفاذ صبر) أين نتحدث ...
-في الحي المجاور يوجد مطعم صغير انتظريني هناك... ولا تحاولي الهرب .. لانكِ ستكونين حينها المتهمة الوحيدة
=حسنا .. سأنتظرك

لا أريد السير جانبها فهذا أمر غير مقبول في منطقتنا ويعد انحرافا للأخلاق حيث يعرفني الجميع ويعلمون أني لا أخت لي ، صعدت إلى أعلى سريعا وأخذت بعض المال الذي أدخره وهاتفي وأخبرت أمي أني سأذهب إلى معاذ وقد أتأخر حتى لا تقلق عليّ.
ولحقت بها إلى هناك حيث كانت تجلس بجانب الشباك ...
-آسف ان تأخرت
=لا بأس .. لست مستعجلة ... فليس لدي مأوى للذهاب إليه
-في البداية .. سنتناول الغداء سوية .. هذا مطعم جيد وبسيط ..ومن ثم تتحدثين إليّ عن حكايتك

تناولنا معا الطعام ويظهر أنها أرق مما كنت أتخيل فهي تأكل بطريقة رقيقة جدا تمسك الشوكة والسكين بطريقة احترافية وكأنها بنت عز وليست ابنة حارة شعبية .
=اسمي حورية ... ولست كاذبة كما ادعيت لكن فكرة وجود فتاة في حارة شعبية وحدها في شقة يثير الشبهات حولها لذا اختلقت لنفسي جدة وأم وادعيت أن جدتي قعيدة وأمي كفيفة حتى لا يضطر أحد الجيران من المجيء وأنا خارج المنزل فلن تستطيع احداهما أن تسعفه في شيء ... ماذا تود أن تعرف أيضا
-ماذا عن شكلك
=هه تقصد لبسي وهيأتي!؟.. حسنا سأخبرك .. أنا أدرس بكلية التجارة وبنفس الوقت أعمل في إحدى المتاجر أقوم ببعض الحسابات .. ولا اريد سوى الدراسة والعمل لذا ارتديت هكذا لكيلا يقرب مني رجلا أو ادخل في علاقة عاطفية مع أحد
-وأين أهلك
=يقطنون بإحدى القرى ..و أنا اسكن هنا لدراستي وعملي ..أقوم بزيارتهم من وقت لآخر
-اممم ..سعدت بالتعرف عليك
=هل يمكنني الاستئذان الآن
-لمّ
=أخبرتني أني لن أرحل حتى تعرف حكايتي فاتركني وشأني .. فلا زال للنهار بقية يمكنني بها البحث عن مكان آخر
-تفضلي .. فأنا اسكن مع والدتي و..
=وماذا يا ..
-وسيم ... اسمي وسيم
=انا لن أستطيع ان اذهب مع أحد.. اسمح لي بالذهاب أرجوك ولا ترهقني
-حسنا .. أعطني رقمك لأطمئن عليكِ من وقت لآخر
=لا لن اس...
-ارجوكِ .. لن احاول إزعاجك فقط سأطمئن عليكِ

أعطتني رقمها ومن ثم ذهبت سريعا كما تقول لإحدى صديقاتها ريثما تجد مستقرا لها ، أما أنا فكنت بغاية السعادة لأني تحدثت معها بل وجلست أيضا وأخذت رقمها ويمكنني الحديث معها والوصول إليها وقتما أردت .
اتصلت بمعاذ لأطمئن على والدته ودعوته للمجيء عندنا الليلة ريثما يقرروا هم أيضا أين وجهتهم القادمة بعد احتراق الشقة بكل مافيها. لم تسعد أمي كثيرا بفكرتي واستاءت جدا بشأن ذلك وتصرفي دون اخبارها لكنها قامت معهم بواجب الضيافة كما ينبغى وطلبت مني المبيت معها بغرفتها وترك غرفتي لهم .
في الصباح كان معاذ قد خرج للبحث عن شقة للإيجار للانتقال إليها سريعا ، وجلست أمي مع أمه وخرجت أنا لعملي ...كان كل مايشغل بالي حينها هو الاتصال بحورية ..لكنها لم ترد عاودت الإتصال لأكثر من مرة فرد أحدهم في النهاية مستاءً لكثرة اتصالي ليخبرني أن الرقم خاطئ وليس رقم حورية !

ها هي قد تلاعبت بي مرة أخرى وقد يكون كل ماقالته كذبا كرقمها للتخلص مني والذهاب .
حاولت البحث عنها في كل مكان قريب فلا بد وأنها لم تبتعد كثيرا لكن لم أعثر عليها ولم يدلني أحد على صاحبة تلك المواصفات الغريبة .
ارتحل معاذ وأهله إلى شقة جديدة وركزت أنا بعملي فلم يتبقى سوى شهر واحد على بداية الدارسة من جديد وقد مرت الإجازة سريعا ، لكن لم تغب تلك الحورية عن بالي اعتقد أن هذا هو الشيء الوحيد الذي لم تكذب بشأنه -اسمها- حتى ان لم يكن اسمها فهو صفتها ، يبدو أني أحببتها رغم كل ذلك ، ازددت تعلقا بها رغم كذبها وتلاعبها بحثت عنها كثيرا لكن لا محال ، كانت تزورني كل يوم بالمنام لا تحادثني بل تنظر إليّ بخجل وكأن روحها تريدني وهي تقاومها .
ظهرت نتيجتي أخيرا والحمد لله نجحت هذا العام وسألتحق أخيرا بالسنة الثالثة ، وكعادتي لم يفرح لذلك سوى والدتي أما عن أخي وأبي فلا يسألون منشغلون فقط بجمع المال ، سامحهم الله على ماأحدثوه بقلبي من دمار وبقلب أمي من خذلان . أما تلك الحورية فلم أرها بعد تلك الجلسة التي يبدو أنها كانت الأولى والأخيرة . هيثم ألحق بنفسه العار فما حدث معه لم يخطر ببال أحد .. التقيته اليوم بعد قلقي الشديد عليه بشأن اختفائه وليتني لم أذهب ...
-ماذا تقصد بحديثك
=نعم كما فهمت ... زوجوني إياها
-وماذا يحزنك هكذا ..
=أنا لن انجب أبدا يا وسيم ... مافعلوه بي أشنع من أن يحكى
-لا أفهم ... ماذا حدث تكلم
=حين أخبرت أهلها بتهربي اجتمع أهلها مع أهلي فقرروا عقابنا أشد عقاب
-كيف .. هل زواجكما عقاب
=لا ... بل مافعلوه بي قبل الزواج فقد قاموا ب...(وراح يبكي بشدة)
-بماذا !؟
=بقطع عضوي (وانهار تماما)

ياالله كيف يحدث هذا ماهذا العقاب البشع عاقبوه بإعدامه من أعز مايملك وعاقبوها بالزواج منه تابعين قاعدة : من استعجل شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .
كان عقابهم الأصعب على الإطلاق فسيعيشان بوجع غائر وندم دائم دون طفل أو امتداد لهم ، من المؤكد أن ذلك كان صعب على أهلهم لكن كان عقابهم لخيانة أبنائهم ثقتهم ، اعتقد هيثم أن الأنثى فقط من تتحمل الأخطاء بل وتعاقب عليها ولم يخطر بباله أن ماحدث به هو الأشنع والأفظع على الإطلاق .
-اسمعني يا هيثم .. يجب أن تتقرب إلى الله فهذا عقاب عاقبوكَ به في الدنيا .. فاذهب إلى الله يغفر لك فعقاب الآخرة أشد.. ابدأ من الآن لم يتبقى على صلاة الجمعة سوى نصف ساعة .. سأنتظرك بالأسفل ريثما تبدل ملابسك وتلحق بي
=حسنا وسيم

بالفعل انصاع هيثم لما طلبت منه ومن ثم اصطحبته لقضاء اليوم معي فقد مضى الكثير من الوقت لم نلتقي وأود الحديث معه عن الكثير ، لكن ليس هذا هيثم الذي أعرفه انكسر وتحطم تماما وبات شخصا آخر أخاف عليه من الموت بسبب حالته هذه هل يستحق هيثم ماحدث له !؟ .
في اليوم التالي ذهبت لعملي باكراً لأنتهي مبكرا ولا أتأخر كالعادة وأثناء انهماكي اتصل بي رقم ، ماهذا ! إنه نفس الرقم الذي أعطتني إياه حورية فيبدو أني نسيت محوه ولا زال مسجل باسمها !.. لمّ يتصل ..
-الو
=كيف حالك
-أنتِ
=هل تتذكرني !؟
-أهذا رقمك !.. كيف وقد رد من قبل شخص نفى ذلك
=سأخبرك .. سأخبرك بكل شيء ..
-تقصدين تكذبين بكل شيء
=لا لن أكذب هذه المرة
-إذا أين نلتقي
=بنفس المطعم
-حسنا في خلال ساعة سأكون هناك

ذهبت مسرعا إلى حيث اتفقنا وكلي شوق وحنين إليها لم أتخيل أن تعود من جديد ، حين وصلت لم تكن في ثوب رجالي كعادتها بل كانت أنثى عادية تظهر جمالها وأنوثتها تجلس بنفس الطاولة ..
-كيف حالك
=بخير
-ماهذا التغيير
=تقصد ما هذا الوضوح .. اليوم ولأول مرة أقرر أن أكون واضحة صريحة
-لن اصدقك هذه المرة
=ولمّ أتيت إذا
-لأني للأسف اشتقتك ... واشتقت حديثك رغم كذبه
=تسخر مني!؟
-للأسف لم استطع نسيانك أبدا .. لكن ان كان هذا رقمك لمّ انكرتِ ومن رد عليّ!
=ابن خالتي هو من رد .. انا من طلبت منه ذلك
-ولمّ
=شعرت بتعلقك بي وانا مجرد وهم لا بد من راحل ... اردتك أن تنساني لكن المصيبة أني من تعلق بك .. كنت الوحيد الذي تحاول الوصول إليّ رغم حالتي وهيأتي وكذبي وفظاعتي الدائمة معك لكنك لم تيأس لم تنفر مني كما ينفر الجميع ..

كنت دائما تحاول مساعدتي .. حين ابتعدت أنا كنت أراقبك من حين لآخر لأني متيقنة أني بقلبك ... ولذا قررت اليوم أن أعترف أمامك بكل شيء
-تعترفي !؟ ..بماذا
=بحكايتي .. فقد مللت الهرب
-هرب ... من ماذا
=من حكم القضاء ضدي ... قتلت والدي بعدما اعتدى عليّ أمام والدتي المشلولة .. للأسف قمت حينها بالهرب قبل أن تصل الشرطة ومن المؤكد أنه لن يصدقني أحد .. فمن ذا الذي يعتدي على ابنته .. لذا بقيت هاربة لطوال الوقت متنكرة في هيأة غير هيأتي حتى لا يكشفني أحد بعد نشر الجرائد عني وعن صورتي فتحفيت داخل تلك الهيأة .. لكن ...(تنهدت بعمق)..لكنِ مللت الهرب وسيم .. مللت كل شيء .. قررت تسليم نفسي اليوم والتخلص من هذا الذنب الذي يلاحقني
-...(انعقد لساني حينها فلا أعلم بمّ أجيب) ..
=لا أنتظر منك إلا أن تسامحني وتنساني ... تنساني تماما .. فعاقبتي هي السجن حتى وان كنت مظلومة فأي قانون هذا الذي سيبرر فعلة كهذه حتى وان قلت الحقيقة التي لن يصدقها أحد ...
-لكن .. لكن صدقيني ان فوضتي محاميا جيدا فبالتأكيد سيخفف عنكِ العقوبة كثيرا .. فهذا قتل دفاع عن النفس ..
=فليحدث مايحدث يا وسيم .. سأستأذنك الآن .. بالمناسبة أدعى حورية لم أكذب بشأن ذلك

رحلت حورية لتتركني في أشد اللحظات صدمة وشفقة أود مساعدتها لكن كيف ؟ ربما أيضا تكون كاذبة هذه المرة لكن ثمة شيء بقلبي يقول أنها صادقة للمرة الأولى .
لم أستطع العودة للعمل وقررت الذهاب للبيت فاليوم يوم سبت وأمي وحدها سأذهب وأحمي إليها كل ماحدث لعلها تخفف عن قلبي بعض الشيء وربما لديها حل ، فور خروجي من المطعم لمحت ببصري أمي تمشي على بعد عدة أمتار لكنها لم تلحظني قررت حينها أن أمشي خلفها فأين تذهب يوم السبت دائما وتدعي في كل مرة عذرا مختلف وأحيانا تنكر ؟ ، ركبت سيارة أجرة فركبت أخرى وتبعتها ووجدتها تصل إلى نفس المشفى الذي ضاع به هاتفها من قبل فتبعتها سريعا ترى ماسر هذا المشفى ولمّ تأتي هنا ؟ تبعتها دون أن تنتبه حتى دخلت إلى تلك الغرفة -غرفة الحالات الحرجة - هل لديها صديقة ما هنا ! ...
نظرت من بعيد فرأيتها تسحب إحدى الكراسي وتجلس أمام المريض رجلا تأكل التجاعيد وجهه وكأنه في أرذل العمر موضوع على أجهزة كثيرة ويبدو الأمل مفقود منه !من هذا ولمّ تزوره أمي ، لم يكن بوسعي حينها إلا مواجهة أمي والدخول بدلا من أن تنكر ان سألتها بعد ذلك ..
-أمي .. ماذا تفعلين هنا
=...(انتفضت من مكانها مفزوعة وكأنما لسعها عقرب) .. وسيم

-نعم وسيم ... من هذا الذي تخرجين في كل سبت للمجيء إليه ! .. وتكذبين في كل مرة
=هذا ..انه .. انه
-يمكننا الحديث خارجا كيلا نقلقه
=لن يقلق أبدا .. هو على حاله هذا منذ عشرون عاما
-ماذا ... عشرون عاما ملقى هكذا ... بالمشفى
=نعم ... ينتظر الأطباء خروجه روحه ... ويدفع أهله الكثير من المال لبقائه تحت الأجهزة لعله يستيقظ .. فلا زال قلبه ينبض ... لكنه في غيبوبة ... غيبوبة طويلة جدا
-.. (أثار ذلك الشفقة لديّ) لكن ماعلاقتك أنتِ به
=انه والدك يا وسيم .. والدك الحقيقي (وانهارت باكية)
بدأت أنا في الصراخ متسائلا إياها ماذا تقصد مما اضطر الممرضون من إخراجنا منعا للإزعاج فهذا مخالف لقواعد الزيارة ، بعد خروجنا وقد كانت لازالت على وضعها المنهار قصت عليّ الحكاية بالتفصيل فحين كانت متزوجة من والد خالد حدث بينها خلاف امتد لبضعة أشهر وحين ذلك وقعت في حب ذلك الرجل ودخلت معه في علاقة واكتشفت بعدها أنها حامل بي وعاد والد خالد لمراضاتها والعودة إليها لأجل ابنهما الوحيد وقد ضغط عليها الأهل فعادت وبعد شهر أخبرته أنها حامل حتى ولدت في شهرها السابع كما يعتقد فلم يشك أبدا أنه من غيره فكثير من الأطفال يولدون بالسابع وقام الرجل بتسميتي وحاول والدي الحقيقي أن يصل لأمي من جديد لأنه أحبها حقا وكان يعلم أني طفله لكن بنفس الوقت هو رجل مرموق لا يريد الفضائح وبعد عامين من ولادتي حدث لي حادث استدعى حينها نقل بعض أكياس الدم إليّ ليكتشفو أن فصيلتي هي o تلك الفضيلة النادرة التي لا تثمر إلى عن شخصين يحملان نفس الفضيلة أو شخص A وشخص O أو B مع O ولم يكن أبي يحمل سوى الفضيلة AB وتحمل أمي فصيلة A وهنا سأله الطبيب عن والد الطفل وأنه ليس ابنه وأكد ذلك عن طريق الDNA وعلم ماقامت به أمي من خداع فاعترفت له بكل ماحدث فطلقها حينها وطردها وتربص لذلك الرجل انتقاما لشرفه وسبب له حادثة طريق شنيعة أدت لما هو به الآن .
خدعتني أمي لطوال سنين حياتي لم يكن والد خالد هو الخائن الذي طلبت الطلاق منه لنفاذ صبرها بل كانت هي الخائنة الظالمة الكاذبة المخادعة ، شعرت حينها بالكره الشديد نحوها فهي لم تظلمني فحسب بل ظلمت نفسها وزوجها السابق وابنها منه والرجل كان بغاية الاحترام يكفي أنه تركني مسجلا باسمه، يكفي أنه ترك خالد يزورها بين وقت وآخر حتى وان كان طويلا ، هذا هو سر بكائها في كل مرة يزورنا خالد وليس تذكر الوجع بل تذكر الخداع والطلاق الذي ألحق بها العار وتبرؤ أهلها منها بعد فعلتها تلك كانت دائما تسيء إليه بحديثها المشين عنه حتى أكرهه ولا أحاول الذهاب إليه أبدا لمعرفة حقيقتها ، كانت على أمل أن يستيقظ ذلك الرجل الماثل أمامي على الأجهزة حتى تبدأ معه من جديد فتصلح ماتم إفساده لكن لم يعد هناك أي أمل من ذلك .

لم تكن الخيانة طبع من طبائع الرجال فقط بل توجد الكثيرات ممن يحملن هذا الطبع السيء كأمي تماما .
على الرغم من أن كشف الحقائق يجعلنا نعيش بوضوح إلا أنه مرهق جدا صادم خاذل يحطنا أرضا بعدما كنا في العالي .
خرجت حينها وأنا مدمر تماما حاولت اللحاق بي لكن لم أعرها أي اهتمام لا أظن أنها تستحق مني البقاء معها فقد جلبتني لهذه الدنيا بمنتهى العار ازدردني أهلها ومعارفها ولم أفهم يوما لمّ !
فور عودتي للمنزل حملت جميع أشيائي واتصلت بمعاذ أستأذنه بذهابي إليه لبضعة أيام ...
=ماذا حدث ببيتكم
-لا شيء معاذ ... فقط أقاربنا سيأتون في ضيافتنا لفترة وفيهن فتيات في عمر المراهقة ولا يصح أبدا جلوسي بالبيت
=حسنا حسنا ... في انتظارك

كانت أمي قد وصلت فقد لحقت بي وكانت منهارة تماما لكن لم يشفع ذلك لها عندي شعرت بكره شديد لها كانت تبكي بشدة متحدثة بكلمات الندم والأسف لكن تركتها بمنتهى القسوة وذهبت .
أعلم أنها الآن تبكي بشدة وتود لو ماتت قبل هذا اليوم الذي أكتشف به حقيقتها المشينة .
وصلت لمعاذ الذي استقبلني هو ووالدته بحفاوة شديدة وقد جهزت لي بعض الطعام لكن اعتذرت منها فما كنت به كان أقسى من أن أتناول أي طعام أود فقط النوم أو الراحة كطفل يركض سريعا من لص يود سرقته فلا ينتهي الطريق ولا يصل لمأمن فيظل يبكي راكضا لعل له بر ينجيه .
ذهبت في نوم عميق جدا كأني لم أنم منذ زمن ، فالنوم هو ملجأ المحزونين يأخذهم لعالم آخر .
في صباح اليوم التالي أيقظني معاذ ...
=مابك يا رجل ... هل أصبحت بخير
-نعم .. وهل كنت مريض
=نمت منذ البارحة قبل المغرب ولطوال الليل تتفوه بكلمات غريبة وتتعرق كثيرا .. خفت كثيرا عليك
-لا لا شيء أنا بأحسن حال .. سأصلي وأذهب لعملي الآن
=حضر نفسك وتفضل فالفطور جاهز .. لا يجوز خروجك دون طعام

بالطبع حين فتحت هاتفي الذي كنت قد أغلقته وجدت اتصالات ورسائل كثيرة من أمي تتوسلني ألا أتركها أنا الآخر كما تركها الجميع على خطأ ارتكبته وهي طائشة . اغلقت هاتفي مرة أخرى وكأني لم أقرأ شيء فبعض الأخطاء لا يمكن اغتفارها أبدا تبقى وصمة عار إلى الأبد.

ذهبت للعمل وحاولت أن أنهمك حتى أنسى مايحمله قلبي من تعاسة ومن ثم بدأت في السؤال والبحث عن سكن قريب أو حتى سكن العمال في هذا المكان حتى تحصلت على سرير في غرفة يقطن بها ستة أشخاص جميعهم في مثل سني لكن من محافظات مختلفة وتظاهرت أني أيضا من محافظة أخرى فمن سيصدق أن منزلنا على مقربة من هنا واسكن مع عمال هكذا !
لم تيأس أمي من محاولة رؤيتي والحديث معي لكن لم استطع أن أرحم ضعفها ولا أدري ماكل هذه القساوة ، حورية ارسلت لي برسالة وأخبرتني أنها قدمت نفسها للعدالة وسيقوم أهل أمها بتفويض محامي للدفاع عنها لعل المحكمة تصدق ماحدث بالفعل .
بحثت عن وظيفة أخرى مسائية لأعمل في كل الوقت لأنسى وأنشغل ولا أعود إلى سكني الا للنوم فلا يسألني أحد عن شخصي ولا سيما لأتحصل على مال أكثر فأنا أرفض كل الرفض أن آخذ قرشا واحداً من أمي بعد كل الذي كان .

بدأ العام الدراسي الجديد أيضا فكأنما كانت الأحداث تمر سريعا لانشغالي في كل الوقت ولكن مااستوقفني حقا هذه الفترة أني لم أرى هيثم قط ! سألت معاذ عنه لكن معاذ في حاله لا يختلط بأحد كان دائما ينقل إليّ أن أمي دائما تسأله عن حالي وهو مستنكر جدا لجحودي هذا وكيف أني أترك والدتي بهذه القسوة ...
-معاذ ... لا شأن لك بهذا .. بيننا بعض الخلافات ولا دخل لك
=مابك وسيم .. اهدأ يا رجل .لم أقصد شيء .. لكن حقا والدتك في حالة يرثى لها لا اصدق أنك تفعل بها هكذا
-بالله عليك اتركني وشأني معاذ .

قلبي منفطر لأجلها لكنه يأبى أن يسامحها .بالتأكيد مع الوقت ستتراجع عن الاتصال بي أما أنا فلن أستطيع العودة إليها أود منها أن تنساني .
قررت زيارة هيثم للإطمئنان عليه بعد كل الذي حدث معه فلم أراه منذ آخر مرة إلتيقته فيها ، حين ذهبت فتحت لي تهاني الباب وقد كان نائما وحين دخلت لإيقاظه سمعته يعنفها بشدة وأخبرها بإغلاق الباب وإخباري بالانتظار ، كانت عينها متورمة جدا يظهر عليها أثر البكاء الدائم لم أتحدث معها من قبل لكن هذه المرة قررت سؤالها عن حال هيثم ...
=كما تراه الآن ... شديد العصبية .. لا يتحدث معي بتاتا فهو يحملني كل ماحدث إليه .. لا يأكل معي .. لا يتحدث مع أمه بعد مافعله أبوه به قاطعها .. لكنها تأتي في كل يوم للاطمئنان عليه لكنه لا يستقبلها فتترك له الطعام والمال وتذهب ..
-وأنتِ تهاني .. ما حالك
=حالي لا يسر يا وسيم ... قاطعني أهلي حاولت كثيرا محادثتهم أو زيارتهم فلم يستجيبوا لخيانتي ثقتهم .. قاطعتني صديقاتي فأنا أسبب لهن السمعة السيئة .. اذهب للجامعة وآتي مسرعة خوفا من نظرات الناس .. حياتي تدمرت .. ليتني مت قبل هذا ليتني ..

خرج حينها هيثم وفور رؤية زوجته صرخ بشدة وأمرها أن تبتعد عن نظره ثم جاء وجلس...
-مابك هيثم ... لماذا أحرجتها هكذا
=لا يخصك ... ماذا تريد
-مابك يا رجل ... هون على نفسك ...
=لست بخير يا وسيم ... حالي كما ترى اجلس مثل النساء في البيت ... ماأصابني ليس بالهين يا وسيم أصبت في رجولتي وكرامتي ...(كان يتحدث بمنتهى الحزن والندم)
-كله شيء مقدر يا هيثم ... تستطيع ان تبدأ من جديد .. لكن جلوسك هكذا لن ينفعك.. عد إلى الجامعة لنكمل دراستنا ..هذا ليس نهاية مطافك
=بل النهاية يا وسيم النهاية ...(ثم وقف عن جلسته إيذانا منه بانتهاء الجلسة بيننا)

فهمت ذلك ولم أحاول أن أتدخل أكثر فيبدو في حالة صعبة لن يستطع سماع أي نصائح .
خرجت من عنده وأنا مستاء لأجله كثيرا ولا أملك ماأقدمه إليه كان الله بعونه وعون زوجته . كنت حينها أود لو أذهب لأطل على أمي فبالتأكيد حالها ليس بجيد لكنه ثمة غصة بقلبي تمنعني من ذلك فأكف عما أريد الأقدام عليه ، المشكلة أننا لا نستطيع غفران الذنوب حتى لأقرب الأقرباء ربما كانت الصدمة بقدر الحب فاستحالت مسامحتهم .
عدت إلى تلك الغرفة التي اقطن بها مع بعض الغرباء ولم يكن على عادتي العودة في هذا الوقت فكان أحمد هو الوحيد هناك ، ألقيت السلام وبدلت ملابسي وكان معي طعام قمت بدعوته إليه فوافق على الفور ويبدو جائعا جدا ، لاحظ أني أنظر إليه ولا آكل فأصابه بعض الحرج ...
=انا آسف ... يبدو أني آكل بطريقة أزعجتك
-لا لا أبدا اعتذر أنا عن نظراتي ...
=لا تعتذر .. لكن صدقني لولا جوعي الشديد ماقربت من طعامك فأنا لم أعمل منذ يومين ولم أوفر قوت يومي
-ماذا ! ...
=أنا وزملائي بالغرفة لسنا متعلمين لذا يصعب علينا الحصول على وظيفة ثابته ونعمل باليومية .. كما أن أهالينا بالصعيد يحتاجون لكل قرش وهذا السكن يحتاج إلى اجرة .. وقد نعمل يوم ولا نعمل لأيام .. الحياة شاقة وصعبة جدا
-كان الله بعونك ... ولكن في ماذا تعملون !
=في اي شيء .. نجارة حدادة أعمال البناء أعمال النظافة اي شيء .. فنحن نذهب في الصباح إلى منطقة قريبة من هنا يجلس على ارصفتها الكثير من أمثالنا ينتظرون أي شخص يأتي لاصطحاب أيا منا للعمل لديه فيما يحتاجه .. وبالطبع قد يقع الاختيار على واحد ولا يقع على آخر لذا هو رزق ... والرازق هو الله

-أحمد ... ان احتجت لشيء أنا هنا لمساعدتك صدقني ..
=هههههههه... وماذنبك يا أستاذ ... لكل شخص طريق ورزق ولابد أنك تعمل ليلا ونهار لاحتياجك الشديد للمال .. لكن دعني أسألك من فضلك !
-تفضل
=انت طالب أليس كذلك ... تبدو متعلما كما أني أرى بعض الكتب والأوراق معك
-نعم انا طالب بكلية الطب
=ماشاء الله .... يبدو أهلك قد تعبوا كثيرا لوصولك لهنا ... من اي محافظة انت !
-انا ... انا من الإسكندرية
=اهلا بك .. وشكرا على الطعام ... بإذن الله سأردها لك عندما يفتح الله لي باب الرزق

أحيانا يضع الله في طريقنا بعض الأشخاص فنرى من خلالهم مالم نستطع رؤيته من قبل فحالنا يبدو أفضل كثيرا من غيرنا .

لم تيأس امي من محاولاتها أبدا وحاولت أمي أن تستسمحني لكنِ لم أستطع أبدا خدعتني لطوال سنين عمري كيف لي أن اثق بها من جديد .
كانت الصدمة أقوى من أن تمر سريعا لكنه مر وتناسيته مع الوقت لكنِ في هذه الفترة ابتعدت تماما عن أمي فمثولها أمامي سيصعب عليّ كثيرا أمر مسامحتها فالتحقت بالمدينة الجامعية واجتهدت كثيرا وبقيت أعمل بجانب دراستي حتى حصلت على الدكتوراه . بعدها كان الأمر قد أصبح هينا بعض الشيء بعد محاولاتها الكثيرة معي فرغم كل ماحدث فيكفي ماعاشته من الندم لطوال حياتها لما اقترفته من ذنب بيدها لعلها كانت طائشة حينها لكنها تعذبت لباقي عمرها طلبت منها ألا تزور هذا الرجل مرة أخرى فلا يريد منه شيء حتى اسمه لا يود تغييره ولا يتشرف بخائن كهذا غوى والدته أن يكون والده كما ان الرجل بعد فترة مات بالفعل بعد أن أنفق أهله معظم ثروته عليه .
لم تنتهي الحكاية هكذا فحورية لم تنتهِ أيضا بل فوض أهلها محامي أزال عنها العقوبة بعد شهادة الجيران بعدم اتزان والدها وتصرفاته الغريبة في الآونة الأخيرة واعتراف أصدقائه بتعاطيه للأفيون في آخر أيامه واعتبرت القضية دفاع عن النفس وحصلت على البراءة . وكأنما هربها كان فقط لأجل أن تلتقي بي وتجمعنا تلك الصدفة لأنها نصيبي نعم نصيبي فبعد صدور ذلك الحكم أكملت دراستها التي كانت قد تركتها حتى أنهتها وتزوجتها فور حصولي على الدكتوراه .

قصة : عندما ينتصف الليل

لم تكن من عادته أن يستيقظ في منتصف الليل لكن خوفه من امتحانه بالغد جعل النوم هاربا تلك الليلة من عينيه ، وعلى اثره قرر النهوض من الفراش ليراجع بعض الدروس وحين همّ بفتح باب الغرفة وجد أبيه يمشي على اطراف الأصابع ويفتح باب الشقة بخلسة شديدة خوفا من أن يلحظه أحد .

يدرس احمد بالصف الثالث الثانوي وهو الابن الأكبر لعائلته المتوسطة العيش حيث يعمل والده موظف في الشؤون الادارية بإحدى المصالح الحكومية وأما والدته فهي ربة منزل بسيطة جدا ، غدا هو اليوم الأول لامتحانات نهاية العام الدراسي ويطمح أن يحصل على مجموع عالي ليلتحق بكلية الهندسة ، انتهى من مراجعة دروسه وجميع الأسئلة المهمة ، نادته والدته للعشاء قبل أن ينام ....

=كل جيدًا
-....(كان يتناول الخبز ببطئ شديد وعقله شارد في الغد)
=لا تقلق نفسك يا أحمد سيكون كل شيء بخير وان يضيع الله تعبك أبدا
-الله الميسر يا أمي ... أين أبي
=في عمله ..تعلم أنه يتأخر هذه الأيام بسبب ضغط العمل
-عمل ... عمل التاسعة مساءً
=حمله ثقيل يابني أنت واخوتك ومصاريف المنزل ..أعانه الله

كانت والدة احمد أطيب من أن يخطر على بالها أي قلق بشأن زوجها ، تم فتح باب الشقة حينها ودخل الأب وهو يدندن ببعض الأغاني ...
=مرحبا بك يا أبو أحمد ... (قامت مسرعة باتجاهه تحمل عنه بعض الأكياس التي بيده) ..
=* ...(نظر باتجاه أحمد الذي ظل جالسا في مكانه) ... مابك لم تقل حتى حمدا لله على سلامتك يا أبي
=...(ردت مسرعة) عفوا يا أبو احمد فامتحانه غدا وهو قلق
=*ممّ يقلق قد صرفت عليه الكثير من الدروس والكتب أسيهدر كل هذا ؟
-...(همّ أحمد بالدخول الى غرفته لضيقه من حديث والده الدائم واثارة القلق به)
=* الى اين تذهب ... انا أحدثك
-اسف يا ابي سأذهب لمراجعة بعض الأسئلة حتى لا يعد مالك مهدورًا
=*حضري لي العشاء سريعا ...

الحقيقة أن والد احمد دائما لهجته شديدة يدخل بالصراخ ويخرج بالصراخ لذا دائما مايتجنبه أبناؤه وينامون قبل مجيئه ويخرجون لمدارسهم قبل استيقاظه ، حتى يوم الجمعة فهو يخبرهم أنه يعمل به عمل اضافي فلا يحتكون به كثيرا .
دخل أحمد غرفته لكن لم يستطع النوم أبدا و لم تكن من عادته أن يستيقظ في منتصف الليل لكن خوفه من امتحانه بالغد جعل النوم هاربا تلك الليلة من عينيه ، وعلى اثره قرر النهوض من الفراش ليراجع بعض الدروس وحين همّ بفتح باب الغرفة وجدت أبي يمشي على اطراف الأصابع ويفتح باب الشقة بخلسة شديدة خوفا من أن يلحظه أحد . تتبعه دون أن يشعر ليجده قد دخل الى العمارة المجاورة حاول أحمد اللحاق به لكن سمع صوت أمه تنادي باسمه من داخل المنزل فعاد سريعا للداخل كي لا تلحظ شيء ...
=أين كنت بهذه الساعة ؟؟
-أبدا ... كنت أستنشق بعض الهواء فقط فلم استطع النوم أبدا
=يا الهي ... هذا الأمر سيضيعك أحمد ... يجب أن تنام لبعض الساعات حتى لا تفقد تركيزك داخل الامتحان ... هيا تعال معي ... (قامت بسحبي من يدي)

طلبت مني النوم على السرير وأحضرت لي كوبا من الحليب الدافئ وبدأت تقرأ القرآن بصوت مسموع حتى يهدأ عقلي وينام ، هي لا تعلم أن عقلي شارد في شأن أبي فمالها لم تسأل أين ذهب وأين هو بهذه الساعة المتأخرة من الليل لا أعلم هل هي سذاجة منها أن تصدق ساعات عمله الاضافية أم اهمال منها تجاه زوجها الذي من المحتمل جدا أن يكون خائنا لها !
غفوت لنص ساعة ثم استيقظت مع آذان الفجر نزلت إلى المسجد وصليت وعند عودتي وجدته عائدا هو الآخر ...
=أين كنت!؟
-كنت بالمسجد
=مسجد ... كنت هناك لتوي ولم أرك هناك

لا أعلم هل يسخر مني أم يسخر من نفسه وأنا أعلم أنه لم يقم بالصلاة يوما ، عدنا للمنزل وذهبت لمراجعة بعض الأسئلة للاستعداد للامتحان . بينما ذهب هو للنوم وبدأت أمي على عادتها بعمل بعض المخبوزات التي اعتادت على صنعها طازجة لنا في الصباح ثم تضع ابريق الشاي وتنادي الجميع للفطور فتذهب بعدها اختي لمدرستها وتستعد أختي الأخرى للذهاب لروضتها وقبلت أنا يد أمي وراحت تدعو لي كثيرا وذهبت لامتحاني ، أعدت بعدها هي القهوة لوالدي ووضعت له الفطور على الطاولة وذهبت توقظه ثم أخذت أختي الصغرى لتوصلها للروضة .
فور ذهابي للإمتحان كان صديقي أمجد مصفر الوجه أحمر العينين لا يتحدث الي أحد حتى أني كلما رفعت وجهي من ورقة الاجابة وجدته ممسكاً بالقلم دون أن يخط حرفا واحدا في ورقته !
بعد خروجنا من اللجنة وقد مر الامتحان على خير سألته عن حاله فلم يجب وذهب دون أي حديث ... اقترب مني باسم قائلا ...
=اتركه بحاله كان الله بعونه
-ماذا حدث !؟
=ألا تدري ماذا حلّ عليهم !
-لا
=بالأمس خرجت أخته ولم تعد بعد .... هم يبحثون عنها في أرجاء المدينة ولم يعرف لها طريق حتى الآن .. وفي الصباح أصرت أمه أن يأتي لتأدية الامتحان فلا يضيع مستقبله
-لا حول ولا قوة الا بالله ... ردها الله اليهم بأحسن حال

وانا في طريق العودة مررت بجانب ذاك المنزل الذي وجدت أبي قد دخل اليه بالأمس فوجدت امرأة تقف في شرفة المنزل امرأة في بداية الأربعينات على قدر من الجمال تغطي نصف شعرها بينما يظهر نصفه الباقي منسدلا على عينيها ترتدي قميصا لا يستر كامل يديها تمضغ بفمها علكة وتنظر للمارة ذهابا وايابا والهاتف بيدها موضوعًا على أذنه ، أكملت في طريقي عائدا للمنزل فبدني يحتاج الكثير من الراحة لأستيقظ استعداداً للمادة المقبلة في الامتحان .
عند دخولي للمنزل كان خاليا عدا أبي الذي كان يتحدث بصوت مسموع داخل غرفته والتي كان بابها مغلق ...
=سآتي ليلا حضري كل شيء و...(اختفى الصوت فجأة)

حاولت أن استرق السمع لأفهم مايحدث لكن فتح أبي الباب فجأة صارخا ...
=ماذا تفعل هنا ...

لم أستطع الحديث حينها وارتبكت كثيرا وهو ماثل أمامي والهاتف بيده وقد اتسعت عيناه كثير ...
=ألم تسمع !؟ ... ماذا تفعل أمام الباب
-لا شيء ...قد دخلت لتوي وسمعت صوتك فجئت اطمئنك عن أدائي بالامتحان
=...تمزح أليس كذلك !!... أتريد أن تخبرني مثلا أنك اخطأت في درجة أو اثنتين... والله ان لم تأتي بمجموع عالي يجعلني أفتخر أمام الناس فلا علاقة لي بك بعد ذلك فلتعمل وتنفق على نفسك .. قد دفعت لك كثيرا هذا العام و...

قاطعته سريعا فقد حفظت هذا الحديث عن ظهر قلب ...
-سأذهب لأنام قليلا لأستعد للمادة القادمة

لم يعر كلامي اهتمام وأمسك بهاتفه ودخل وقد دفع الباب من خلفه ، تأكدت حينها أن هناك أمر خطير ولاسيما الخيانة ،الخيانة لتلك المرأة التي كرست حياتها للعمل على ارضائه وخدمته ونسيان نفسها والتبرير لكل اخطائه ،الخيانة لنا بجعل أوقاته المفترض أن يقضيها معنا لها ، لم أشعر بنفسي إلا نائما من التعب .
استيقظت في الخامسة مساء كانت امي حينها تجلس أمام التلفاز تحيك كوفية جديدة لأبي فهي تصنعها له دائما قبل الشتاء بفترة لتستطع صنع جميع الألوان ثم تبدأ في حياكة بعض الملبوسات الصوفية لتبيعها للجارات فتتحصل على بعض المال ....
=نوم الهنا ... لم أوقظك لعلمي أنك لم تنم البارحة ...كيف كان امتحانك
-الحمد لله كان سهلا وبسيط
=الحمد لله ...والقادم أفضل ... سأجهز لك الغداء حالا ...

سمعنا حينها صراخا حادا من الشارع فنزلت سريعا ووجدت الجميع يلتف حول كيس من القمامة بداخله فتاة مشوهة مقتولة ، وصلت بعدها سيارات الشرطة والاسعاف وتم نقل الفتاه معهم فيما بقيت حارتنا مابين بكاء وحزن على حالها وحملت كل أم طفلها من الشارع وعادت به لمنزلها فلم يعد أي أمان ، ولكن بقي هناك سؤال واحد من تكون تلك الفتاة التي شوه خاطفوها وجهها لكيلا يتعرف إليها أحد !

أقبل باسم صديقي يضرب كفا على كف ...
=لا حول ولا قوة إلا بالله ...صبر الله أهلها على تلك المصيبة
-الأمر شديد السوء حقا ...

أتى صوت أبي من خلفي ...
=ألن تكف عن الوقوف مع هذا ...(مشيرا إليه باستحقار)
-أبي لا يصح ذلك ...
قام أبي بصفعي لأني حاولت رفع الحرج عن باسم وأمرني أن أصعد لأعلى والا ضربني بالنعال أمام الجميع ، الحقيقة أن أبي دائم التقليل مني أمام الناس غير مراعي لشعوري وغير آبه لأي كلام قد يقال عني من زملائي ، رفع أمجد حاجبه ورحل قائلا ...
=أعانك الله يا أحمد

صعدت الى أعلى ودخلت الى غرفتي وبدأت في المذاكرة ولم أتناول حتى غدائي ولم يهتم هو لهذا الامر كل مايهمه أن آتي بمجموع يجعله يفتخر أمام الناس بماله وشأن أولاده دون ان يهتم هو لأولاده ، في المساء نودي من مسجد الحي بموعد صلاة الجنازة اعلانا منهم أن الفتاة المتوفاة هي أخت أمجد صديقي !

كان الخبر كصاعقة حلّت بالحي وارتفعت أصوات النساء بالعويل واللطيم وشق الجيوب على تلك العروس المفترض أن تكون ليلة زفافها بعد شهر ! كما امتلأ الحي بالشرطة للتحقيقات والالتباسات حول تلك الجريمة البشعة .
ذهبت أمي الى العزاء حيث السيدات وذهب انا وأبي هو الآخر الى عزاء الرجال ، كان أمجد يقف كمن راح منه عقله كان يبدو كالمجنون وغير متزن أبدا فهي الأخت الوحيدة له فلم يتحدث بكلمة واحدة جلس في كرسيه ناظرا الى الأرض التي وضع قدمه عليها ولم يلتفت لأحد لعله يتذكر ذكرياتهم معاً ، أما والده فكان يأخذ عزاء ابنته والدموع تسيل على الخدين يوّد لو يصرخ ألف صرخة على أنيسته الغالية وفقيدته الحنونة ، صوت والدته كان يصل إلينا في صخب رغم محاولات النساء تهدئتها لكنها كان تهدأ لحظة وتصرخ ساعات ممسكة بملابس ابنتها وتجهيزات عرسها باكية على شبابها ،

كانت ليلة صعبة على الجميع صعبة جدا وتم دفنها بعد صلاة الفجر مباشرة .
كانت الأيام التالية يعمها الحزن في اركان الحي وداخل البيوت حتى انقضت فترة الإمتحانات على خير ،لكن كان الوحيد الذي لم يتبدل حاله هو والدي الذي ظل على حاله يتأخر في العمل ويخرج ليلا دون ان يشعره أحد .
قررت حينها أن أحسم الأمر وأكشف الحقيقة فالأمر لا ينم عن اي طمأنينة .
بعد تناولنا العشاء وذهاب كلا منا الى غرفته جاءت إليّ أمي تجلس معي قليلا قبل النوم ...
=أحمد ... لمّ لا تخرج للتنزه والجلوس مع رفاقك ... أراهم في كل يوم يخرجن ويجلسن أمام منازلهم عداك .. لا أراك معهم .. لا اريد أن تعتاد المنزل .. اريدك ان تخرج وتخوض التجارب حتى أن اريدك أن تبدأ في العمل في اي مكان ريثما تبدأ الجامعة ليس للمال لكن لتعتاد الاعتماد على نفسك وتتحمل المسؤولية
-أفكر في شأن العمل حقا .. لكن مايمنع خروجي هو كون امجد يعاني من الاكتئاب وهذا يحزنني كثيرا لأجله
=أعانهم الله على حالهم .. الحادثة كانت صعبة جدا
-ألم يحدث أي تطورات في قضيتها ..هل وجدو الجاني!؟
=لم يجدو الجاني بعد !... لازالت القضية متوقفة عند اكتشاف الطب الشرعي لأخذ أعضاء الفتاه ورميها بالشارع بعد تشويهها كيلا تظهر أي بصمات لهم .
-لا حول ولا قوة الا بالله ..
=تصبح على خير الآن ..
-وأنتِ بخير ... بإذن الله سأذهب من الغد للبحث عن عملٍ هنا في الجوار ..
=بإذن الله ..

في الصباح وبعد الفطور نزلت للبحث عن عمل وعلى بداية الحيّ وقبل أن اصعد الى الحافلة اكتشفت أن جيبي خالٍ من النقود وأنا على علم أن والدتي قد ذهبت بأختي للروضة ولن اجدها في المنزل لذا قررت ان اذهب الى مكان عمل والدي واتحمل ماسيقوله لي ، ذهبت بالفعل الى مصلحة الشؤون التي يعمل بها والتي لم اذهب اليها منذ مايقرب الأربع سنوات ، فور وصولي سألت عنه أكثر من شخص من سن الشباب فأخبرني أن لا وجود لهذا الاسم هنا !...
-كيف ذلك ؟... ابي يعمل هنا منذ زمن
=اعتذر منك يا أستاذ لم اسمع باسمه منذ جئت هنا من سنتين !
انتقلت من عنده الى موظف من كبار السن لعل هذا لا يتعامل مع ابي لصغر سنه ...
=لعنة الله عليه وعلى أمثاله
-ماذا !؟
=قد تم طرده منذ ثلاث سنوات لسمعته السيئة والرشاوي التي تلقاها ... لمّ تسأل ؟!.. هل تعرفه ؟
-لا شكرا ...

الحقيقة أني وفور سماع ذلك ذهبت سريعا ولا أدري ماذا أقول لوالدتي ؟لكن ان كان كذلك فأين يذهب والدي في كل يوم ؟ هل يذهب لتلك السيدة !
وان كان قد طرد من العمل فمن أين يأتي بالمال سواء لبيتنا أو بيت تلك السيدة التي يذهب اليها ليلا !؟

لم أستطع اكمال وجهتي لعدم امتلاكي للمال لذا قررت العودة للمنزل ، أمام المنزل كان يقف باسم مع هيثم وعماد وحين رآني جاء إليّ يسأل عن أحوالي...
=أين أنت يارجل .. لا يراك أحد
-موجود ياصديقي ...كيف حالك أنت
=بخير.. سنفتح أنا والشباب مشروع هنا بالحيّ ... مارأيك لو تعمل معنا
-مشروع !؟ ... ماذا سيكون !؟... انا بالفعل ابحث عن عمل
=جميل جدا ... سنفتح مطعما للفول والفلافل وبعض المأكولات الشعبية الأخرى كي يكون سعرها قريب من الطبقة التي يعيش بها الناس هنا فلا نخسر

-جيد ... لكن ليس لديّ اي مال وكما تعلم والدي ....تعلم انه سيعترض ان يعطني اي مال
=لا تقلق اعلم ذلك ... انت ستمسك الحساب اي ان الزبون حين دخوله سيدفع ثمن الطلب وتسلمه أنت ورقة بالطلب ويأتي نحونا لاستلامه ... لكن ..
-لكن ماذا ...
=في البداية ربما يكون أجرك بسيط نظرًا اننا لازلنا بالبداية ... لكن فورما يصبح الحال افضل سيزداد أجرك
-موافق .. وانا معكم من الغد
=بإذن الله سيكون الافتتاح بعد غد

بعد قليل رأيت أمي عائدة تحمل أكياسا من الخضروات والفواكة واللحم الطازج ويبدو أنها كانت بالسوق ، فأبي يرى أنه طالما دفع المال فلا علاقة له بأي شيء هي المسؤولة عن كل شيء حتى الأسواق تذهب هي الحقيقة أن المرأة تتحمل مالا يتحمله الرجل فكيف لشخص أن يستيقظ قبل الجميع ليطبخ ويغسل ويذهب للشراء ويوصل الأبناء لمدارسهم ويحاول المساعدة في مصروف البيت بالعمل في اي شيء يجيد فعله والقيام على طلبات اهل البيت جميعهم ولا سيما طلبات الزوج وتنام بعد الجميع لتعيد نفس الشيء في اليوم التالي دون أن تمل أو تكل المرأة عظيمة تستحق كل التقدير ،حملت عنها الاكياس وصعدنا لأعلى وهي تمشي بجانبي داعيةً لي بكل الدعوات الجميلة .

دخلت بعدها مسرعة الى المطبخ تفرغ الأكياس وتضعها في علبٍ داخل الثلاجة وأحضرت ماتحتاجه بجانبها لتبدأ في الطبخ ثم وضعت طبختها على نار هادئة وارتدت عباءتها سريعا ...
-الى اين ياأمي
=سأذهب لجلب اخوتك من المدرسة والروضة انت تعلم لم يعد هناك أمان
-ارتاحي انتِ سأذهب أنا

ذهبت بالفعل لاحضار إخوتي والعودة بهم الى المنزل والغريب أني حين عدت وجدت أبي هو الآخر قد عاد ولم تكن من عادته أن يأتي باكرا هكذا كما أنه بدا عليه الحزن والهم ولم يتحدث مع احد بل دخل الى غرفته وطلب منا ألا يوقظه احد !.

في المساء وبينما نحن نتناول العشاء أخبرتهم بشأن العمل مع زملائي بالمشروع الفلاني قاطعني ...
=عمل !؟ ...
-نعم عمل ... اود الاعتماد على نفسي وتحمل المسؤولية فلم أعد صغيراً
-جيد

كان يتحدث وهو شارد الذهن وليس على طبيعته أبداً كأنما يخاف من شيء ما ، بعدها دخل لينام بينما جلسنا جميعا أمام ذاك الفيلم الذي يعرض لأول مرة على الشاشات وبعدها ذهبوا جميعا للنوم وبقيت أنا أتابع بعض المواقع المختصة بعرض نتائج الثانوية العامة لكن لم أجد شيئا ، دقت حينها الثانية صباحا وكعادة أبي مشى على اطراف أصابعه وخرج وخرجت خلفه فاتجه الى حيث منزل السيدة وتبعته أيضاً دون أن يشعر ، وقفت بجانب الشرفة التي كان مسموع من خلالها كل مايحدث في الداخل واكتشفت أني ظلمت والدي كل الظلم فأبي ليس كما اعتقدت أبدا ولكنه أسوأ مما اعتقدت بكثير ،كنت أظن أنه خائن لأمي ولعشرتها الطيبة واكتشفت أنه خائن لكل شيء ولاسيما لبيئته والحيّ البسيط الذي يسكنه، أبي يعمل قاتل وتاجر للأعضاء البشرية يخطفون الشباب من البنات والذكور ذوي البنية الجسدية الجيدة والتي تظهر عليها الصحة ومن ثم بالاتفاق مع طبيب حقير يقوم بسلب الأعضاء من اجسادهم ويرمي بالجثة الى الشارع بعد تشويهها كيلا يكتشفها أحد ، دار بينهم حديث جعلني اخجل من كونه أبي وأن قلبه انتزعت منه كل معاني الانسانية ...
=أخطأت خطأ كبير حين قمت برمي الفتاة في حيكم
(أحدهم موجها الحديث إلى أبي)

=* لم أكن أعلم أنها ستكتشف كما أني قمت برميها في صندوق القمامة ورميت فوق الكيس الكثير من القمامة فعلت ذلك في الليل ولا أدري حقاً كيف انتقلت الى ذاك المكان ليحدث كل ماحدث
أشاح وجهه عن أبي موجها الكلام الى المرأة صاحبة المنزل ...
=حليمة ...هل انتهى الدكتور جاسم من الشاب الذي بالداخل
=• لا لم ينتهِ بعد ...

خرج الطبيب من الغرفة الداخلية ويديه مملوءة بالدم وهو يخبرهم أن ذاك الشاب الملقى بالداخل لا يصلح أبدا لكونه مريض بالسرطان المنتشر في جسده ، وأن كونه ممتلئ الهيئة قوي البنية ماهو الا مرض يسري داخل جسده ، وأنه توفي الآن ويجب نقله قبل تحلل جسده وخروج رائحة تنم عن شخص ميت .

نظر الرجل الجالس على الكرسي موجها الأوامر إليهم وقال لأبي...
=ألم تسمع ...هيا قم بنقله الى أي مكان
=*كيف ذلك ...
=هاهاهاها ...كما تفعل ذلك دائما ... مالك أصبحت تخطئ كثيرا ... مرة بفعلتك ورميك للفتاة بجانب بيتها ومرة بردك هذا
=*...(سكت ولم يرد)
=أصبحت أشك بك... أخرجتَ عن طوعي !؟... أم أنك اكتفيت من المال ...هل تظن أن دخولك معنا مثل الخروج

فجأة وبدون مقدمات وجدت أحدهم ممسكاً بي وقد كتم أنفاسي ساحباً اياي الى الداخل وقد رمى بي أمام ذلك الرجل والذي يبدو رئيس عصابتهم .
نظر إليّ بامتعاض وأمسك بسلاحه موجهاً اياه الى رأسي ....
=من تكون ..!؟...هل ارسلتك الشرطة
تحدث أبي فجأة ...
=*لا لا ...انه ابني .... (ثم نظر لي بغضب يشوبه الخوف) ماذا اتى بك الى هنا ... ماذا اخرجك بهذه الساعة ... لطالما كنت قاسي جدا معكم لا اسمح لكم بالخروج ولا غيره كيلا تكونو فريسة لمثل هؤلاء
=هؤلاء... امم جميل جدا هذا الفيلم ... الأب وابنه .. (ثم نظر إلى أبي وهو يشير إليّ) .. طالما أنك خفت عليهم اذا هم أصحاء وبكامل العافية لذا بدلا عن ذاك الذي يوجد بالداخل فسنقوم بأخذ ابنك بديلا عنه .
=*ارجوك لا تفعل ذلك أقسم لك أني سآخذه الآن وسنرحل ولن نتحدث عنك أبدا وعوضا عن الملقى بالداخل سأحضر لك بديلا أفضل صحة وعافية وسآخذ الجثة وأخلصك منها لكن لا تقترب لابني ... بالله عليك لا تفعل ذلك

بدأوا جميعا بالضحك وأبي يتوسل إليه ملقى أمام قدميه عارضاً عليه كل ثروته وكل مادخره من مال مقابل أن يتركنا ، لكن الرجل استمر في الضحك مشيرا لأحد رجاله بإدخالي للغرفة المشؤومة اعلانا منه بقتلي ومشيرا لرجل آخر بأخذ أبي هو الآخر كأنما يقول له الجزاء من جنس العمل فكما أتيت سابقا بمن ليس لهم ذنب ستكون أنت وابنك بنفس المصير .
أدخلني الرجل الى الغرفة والتي كان يرقد في ركن منها صاحب الجثة الهامدة وبجانبه طاولة وضع عليه أدوات طبية وسرير يعلوه كشافات مضيئة وعلب زجاجية بها سائل غريب وثلاجة لم أرها من قبل تبدو مجهزة بشكل طبي لوضع الأعضاء وحفظها بداخلها .
قام ذاك الرجل بوضعي على السرير بعد أن جعلني مكتوف اليدين والقدمين ثم خرج ، ليدخل بعده الطبيب الذي قام بلبس القفازين وارتداء نظارته ثم نادى على تلك المرأة والتي يبدو أنها من تقوم بقتل الضحايا بدم بارد ...
=*نعم يا دكتور
=•هيا يا حليمة لم يعد الكثير على الفجر نود الانتهاء قبله حتى نرمي به قبل ظهور الشمس
=*حسنا ..في اقل من خمس دقائق

ذهبت الى ذاك الرف الذي وجد بجانب الباب وتناولت منه سكينا وقامت بسنه جيدا ثم اقتربت مني بينما كانت أنفاسي تتسارع وأنا أترقب لحظاتي الأخيرة مكتوف الأيدي بعدما علمت حقيقة أبي واطعامنا المال الحرام لتلك السنوات وانتشال الرحمة من قلبه ، كنت افكر في أمي فبالتأكيد سيتم قتلي انا وابي فماذا عن صدمتها أخاف عليها كثيرا من خبر كهذا ، كان صوت أبي لازال في اذني وهو يصرخ فيهم ويبدو أنهم يقومون بضربه وتعذيبه بدأ الصوت يذهب ويذهب حتى اختفى بعد أن تم ضربي على رأسي فلا أدري هل مت أنا أم مات هو واختفى صوته !.

في المشفى وقف الجميع أمام غرفة كنت أقيم بداخلها تبكي أمي وتحتضنها أختاي ويلتف حولها الجيران ثم سمح الطبيب لها بالدخول ...
=ماذا حدث لك يا حبيبي ... مالذي أودى بك الى ذلك .. (كانت تبكي بشدة)
-...(بدأت أشعر حينها بكل شيء ولاسيما تلك الارتطامة برأسي ويبدو أني على قيد الحياة ولم أمت فأنا أسمعها جيدا)

نادت هي على الطبيب تخبره أني اتمتم بكلمات غير مفهومة فأخبرها أن خلال دقائق سأكون بخير وأن ذلك نتيجة فقط لتلك الصدمة برأسي ، بعد قرابة النصف ساعة كنت بكامل الوعي وجلست أمي على كرسي وجلس بجانب أحد رجال الشرطة ...
=هل أنت بخير الآن
-الحمد لله ..
=هل تذكر ماحدث
-اخر ماأذكره هو صوت أبي وتلك المرأة التي تسن السكين
=الحقيقة أنه ولولا مافعلته ماكان لنا أن نمسك بتلك العصابة ... لا نريد أن نجهدك الآن في الغد نرجو منك الحضور الى قسم الشرطة لنستكمل التحقيق ..اخبرنا الطبيب أنك ستخرج اليوم من المشفى وأنك بكامل صحتك .

ماحدث أنه وعند ذهابي خلف والدي واكتشاف مايحدث أرسلت الى باسم صديقي رسالة نجدة مرفقا معها العنوان مماليا عليه حقيقة الأمر حتى ان حدث لي مكروه يتم الامساك بهم وبالفعل قام باسم بإبلاغ الشرطة في الحال وأنقذوني قبل حدوث أي مكروه وقبل أن تقوم المرأة بقتلي ، اما تلك الارتطامة فحدثت اثر ضرب احدهم لي على رأسي قبل ان تقوم هي بذبحي كي يتم الأمر في هدوء لكن وصلت الشرطة قبل أي شيء وتم القبض على جميعهم ومن ضمنهم أبي .
تم الحكم عليهم جميعا بالإعدام شنقا اثر كل مافعلوه من قتل وتجارة بالأعضاء .
كانت صدمة قاسية على أمي لكن افعاله الشنيعة جعلتها تتعافى من صدمتها فربما فعل بنا الاشنع من ذلك فهو بلا قلب ورحمة ، أما أنا فعملت مع اصدقائي بالحي في المشروع المتفق عليه في السابق لأتحمل المسؤولية تجاه اسرتي ، فبعد شهر من الآن سألتحق بكلية الهندسة والتي طالما تمنيتها.